



المعجزة الكبرى

الإسـراء والمعراج

محمد متولى الشعراوى



مكتبة الشعراوى الإسلامية



قطاع الثقافة

المعجزة الكبرى

فضيلة الشيخ / محمد متولى الشعراوى

الطبعة الرابعة

دار اخبــار اليوم
قطاع الثقافة

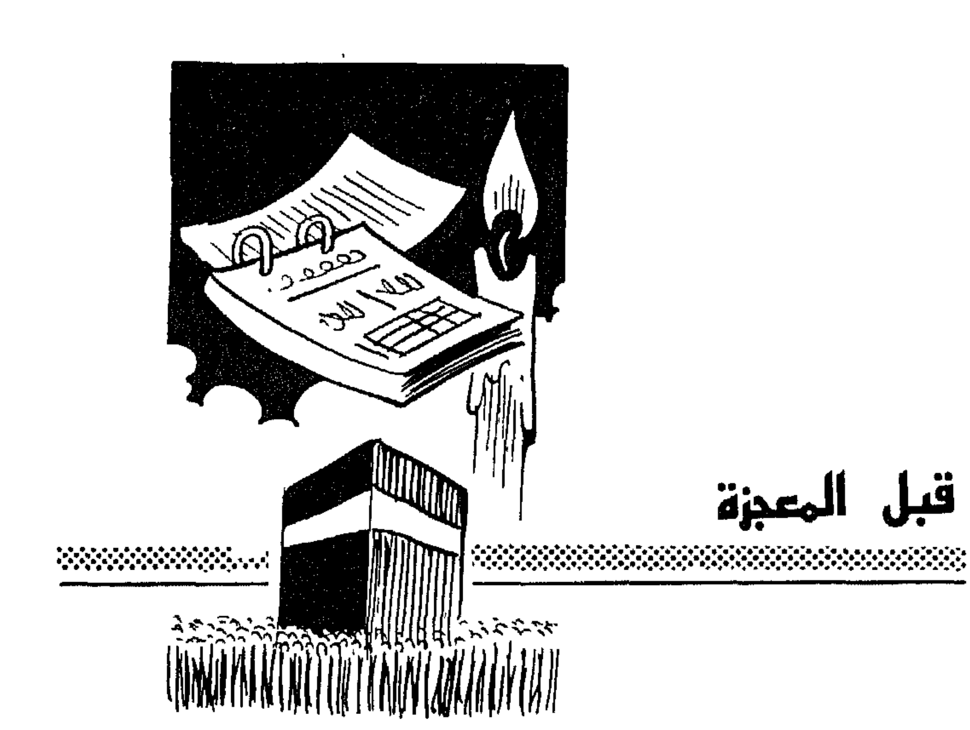
جمهورية مصر العربية
٦ شارع الصحافة
القاهرة

تليفون/ فاكس
٥٧٩٠٩٣٠

تصـميم الغـلاف : **أشــرف حســين**

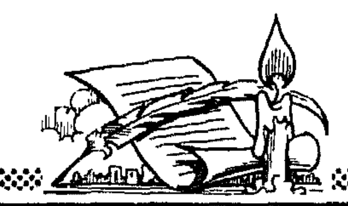
التصميم الداخلى : **عبد الكريم محمود**

الفصل الأول :



قبل المعجزة

الرسول .. والرسالة



أيد الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة .. هذه المعجزات بعضها مادى .. يراه الناس .. فقد نبع الماء من بين أصابعه الشريفة .. وكان الغمام يظلله أينما سار .. وانشق له القمر .. وغيرها كثير.

ولكن هناك معجزة كبرى لم يتح لبشر أن يطلع عليها .. بلغ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. سدرة المنتهى وتجاوزها ليرى الآية الكبرى لله فى السموات .. ووصل صلى الله عليه وسلم الى منزلة أعلى من منزلة جبريل عليه السلام .. أقرب الملائكة الى الله جل جلاله .. فعند سدرة المنتهى توقف جبريل ليتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وقال جبريل للرسول الكريم .. أنت يارسول الله إن تقدمت اخترقت .. وأنا إن تقدمت احترقت ..

وهذا الكتاب عن المعجزة الكبرى التى خص بها الله رسوله صلى الله عليه وسلم .. وهى الاسراء والمعراج .. فما من نبى صعد الى السموات .. حتى بلغ سدرة المنتهى وتجاوزها .. ثم عاد فى نفس الليلة ليكمل حياته على الأرض إلا خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ..

وحينما نتحدث عن معجزة الإسراء والمعراج . . فلابد أن يسبق ذلك حديث عن الأسباب التى سبقت المعجزة . . أو التى حدثت من أجلها المعجزة . . رسول الله صلى الله عليه وسلم . . خاتم الأنبياء . . وصاحب الخلق العظيم . . بعث بالرسالة الخاتم إلى الدنيا كلها . . وأُعِدَّ صلى الله عليه وسلم إعداد إلهياً لتحمل الرسالة الكبرى . . خاتم رسالات السماء إلى الأرض . . فجعله ربه أميا لا يقرأ ولا يكتب . . حتى لا يقال إنه أخذ عن حضارات الأمم السابقة . . أو انه تعلم على يد معلم فروى له وعلّمه . . ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يكون هو ـ وحده ـ المعلم لرسوله الكريم ، وأن يكون تلقى العلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الله جل جلاله مباشرة . . ودون أى حضارة أرضية . . وكانت هذه فى حد ذاتها معجزة . . أن يختار الله سبحانه وتعالى رسولا أميا . . ثم يجعله معلما للبشرية كلها إلى يوم القيامة .

وهكذا نشأ محمد عليه الصلاة والسلام . . لم يجلس إلى معلم . . ولم يعرف عن حضارة الدنيا شيئا . . ولم يقرأ حرفا فى حياته . . ولذلك عندما نزل جبريل عليه السلام بأول آية من القرآن الكريم وقال : ﴿ إقرأ ﴾ . . رد رسول الله صلى الله عليه وسلم بفطرته السليمة (ما أنا بقارىء) . . أى لا أعرف القراءة والكتابة . .

ولكن الْمَلَكَ ضم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه . .

وقال له : ﴿ اقرأ ﴾ للمرة الثانية . . ورد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قائلا : (ما أنا بقارىء) . .
وتكرر نفس المشهد للمرة الثالثة .

والسؤال هنا . . ألم يكن الحق سبحانه وتعالى الذى أرسل جبريل عليه السلام يعرف أن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يقرأ ولا يكتب ؟ . . إنه هو الذى اختاره أميا ، وأعلن ذلك فى التوراة والإنجيل وفى الكتب السماوية . . قبل أن تبدأ حياة رسولنا الكريم على هذه الأرض بوقت طويل .
وإذا قرأت قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾

(من الآية ١٥٧ سورة الأعراف)

تجد أن هذه الآية الكريمة قد نزلت بعد أن حكى الحق سبحانه وتعالى . . قصة اليهود عندما عبدوا العجل . . وكيف أن موسى عليه السلام . . اختار من قومه سبعين رجلا .

وكلمة إختار معناها أن ما فعله موسى . . هو فعل اختيارى يستخدم فيه العقل . . إختار موسى عليه السلام سبعين رجلا . . رجل من كل سِبْطٍ من أسباط اليهود . . حتى تكون كل فرق اليهود ممثلة . . وفى الموعد المحدد للقاء الله . .

أراد الله جل جلاله أن ينبه قوم موسى .. بخطورة ما فعلوه بعبادتهم العجل ، فأخذتهم الرجفة وهى الزلزال الشديد .. الذى يهز الإنسان هزا عنيفا بحيث يحس أن روحه تكاد تغادر جسده .

وكانت هذه الرجفة عقابا على أن هؤلاء الرجال .. لم يقاوموا اليهود الذين عبدوا العجل .. مقاومة جدية وعنيفة .

وهنا تضرع موسى إلى ربه وقال يارب .. أنت أرحم من أن تهلكنا بما فعل السفهاء منا .. فاكتب لنا رحمة فى الدنيا والآخرة .. ثم أنبأ الحق سبحانه وتعالى موسى ليبلغ قومه .. بأن رحمة الله مكتوبة للذين يتبعون الرسول النبى الأمى .

وهكذا نعرف أن الله سبحانه وتعالى إختار رسوله أميا منذ الأزل .. وهذا إعجاز للرسول الكريم صلوات الله عليه .. حتى لا يقال إنه قرأ فى كتب الأولين .. أو جلس إلى معلم .

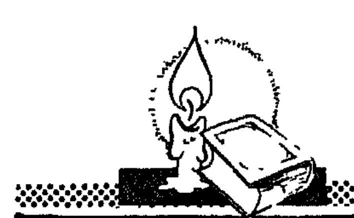
إذن فجبريل ناطقا بالوحى .. مرسلا بكلام الله .. قائلا إقرأ .. كان يقصد معنى آخر غير القراءة والكتابة الدنيوية .. ولذلك جاءت الآية الكريمة :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

(الآيات من ١ ـ ٥ سورة العلق)

فالحق تبارك وتعالى يريد أن يلفتنا . . إلى أن رسوله الكريم الأمى . . سيعلمه الله ليكون معلما للبشرية كلها إلى يوم القيامة .





الحق والظلم

واختار الله سبحانه وتعالى رسوله . مشهودا له بالصدق من قومه . . فقد عاش بينهم أربعين سنة قبل البعث بالرسالة . . لم يعرفوا عنه صلى الله عليه وسلم كذبا قط . . وكان ـ وهو الملقب بالأمين ـ يحفظ عنده الناس ما يخافون عليه من أغلى ما يملكون .

ثم كُلِّف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسالة . . وطلب منه عليه السلام أن يجهر بالدعوة . . ولكن سادة قريش وزعماءهم تصدوا له لأنهم رأوا فى دعوته عليه الصلاة والسلام . . نهاية لظلمهم وضياعا لنفوذهم . . فبدأوا يحاربون الدين الجديد من أول يوم . . ذلك الدين الذى جاء ليسوى بين السيد والعبد . . ويعطى الحقوق لأصحابها .

وكانت صيحة الإسلام قوية فى آذان أئمة قريش . . فزلزلتهم ، وجعلتهم يحاولون أن يحتووا هذا الدين الجديد بأية وسيلة . . وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حمايتان يحميانه من الإيذاء الخارجي بنفوذهما . . فكانت قريش

لا تستطيع أن تتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بإيذاء مباشر . . الأولى . . حماية عمه أبو طالب .

أما الحماية الثانية فكانت من زوجته السيدة خديجة رضى الله عنها . . التى كانت خير سكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . فإذا عاد إلى البيت أخذت تُسَرِّى عنه ما يلقاه من عناء قريش واضطهادهم . . فتمسح بيدها كل آثار مالاقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنت وعذاب .

وبدأ قادة قريش وزعماؤهم يبحثون عن حل . . إزاء هذا الدين الجديد . . الذى جاء ليسلبهم سلطانهم ونفوذهم الدنيوى . . وكان أول ما فكروا فيه . . هو أن يعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ما يريده من جاه الدنيا . . لينصرف عن هذه الدعوة . . ولأنهم عبدة دنيا فكانوا يعتقدون أن المال أو السلطان أو النفوذ . . هو هدف رسول الله عليه الصلاة والسلام . . فاجتمعوا وقالوا نعطيه الدنيا لعله يترك هذه الدعوة وينصرف عنها .

وذهبوا إلى عمه أبى طالب . . ليعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضهم الدنيوى . . قالوا إن كنت جئت بهذا الحديث تطلب مالا . . جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا . . وإن كنت تطلب الشرف فينا سيدناك علينا . . وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا . . وإن كان هذا الذى يأتيك بما يأتيك (وهم يقصدون بذلك الوحى) رِئْيًا تراه قد غلب

عليك (الرئى هو الجن) . . بذلنا من أموالنا فى طلب الطب حتى نبرئك منه .

ولكن كل هذه العروض ومغريات الدنيا . . لم تثر فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قطرة من الإغراء . . فقد جاء يدعو الناس إلى العمل من أجل الآخرة . . ولم يجىء ليغريهم بمال الدنيا وسلطانها . . لأن الآخرة هى الحياة الحقيقية للإنسان . . ففيها الخلود ، وفيها النعيم بقدرة الله سبحانه وتعالى . . وفيها من النعم مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . . وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾

(الآية ٦٤ سورة العنكبوت)

ولذلك حينما أراد عمه أبو طالب . . أن يقنعه بالعرض الدنيوى . . الذى تقدم به كفار قريش . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أُبَلِّغَ هذا الأمر أو أَهْلِكَ دونه ما تركته) .



محاولة التشكيك والتعذيب

وهكذا فشل الإغراء الدنيوى .. وأحس كفار قريش .. وهم يرون الدين الجديد يزداد إنتشارا .. أنهم لابد أن يبحثوا عن وسيلة أخرى .. يواجهوا بها دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فقالوا .. نشكك أتباعه فى الرسالة .. ندخل الشك إلى قلوبهم فى أنه ليس رسولا .. فإذا دخل الشك فى قلوبهم .. إنصرفوا عنه وانتهت الدعوة .. وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾

(الآية ٤٣ سورة الرعد)

وهكذا ردت السماء على الكفار .. وفشلت المرحلة الثانية .. واقتنعوا أنهم إن لم يستطيعوا إغراء رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أو التشكيك فى رسالته .. فإنهم لابد أن يبحثوا له عن طريق آخر .. هو أن يعذبوا كل من اتبع دين محمد وآمن برسالته تعذيبا وحشيا يصل إلى القتل .. حينئذ

سينصرف الناس عن الدعوة خوفا من بطش سادة قريش . . ولا يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من يؤمن برسالته .

وبدأ التعذيب . . ولم يكن هناك من يحمى أتباع رسول الله عليه الصلاة والسلام . . فقد كانوا ضعفاء . . وكانوا قلة . . وكانوا أذلة . . ولم يكن أمامهم إلا تحمل التعذيب .

وكان آل ياسر الذين جاءوا من اليمن وأسلموا فى مكة . . هم أول شهداء فى الإسلام . . كان الأب هو ياسر ، والأم سمية ، والابن عمار بن ياسر . . حاول أبو جهل والكفار معه أن يفتنوهم عن دينهم فلم يفلحوا . . فأخذوهم إلى البطحاء (أى الصحراء) . . بعيدا عن قلب مكة وأخذوا يعذبونهم .

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم . . وهم يعذبون فقال : (صبرا آل ياسر إن موعدكم الجنة) . . واستمر التعذيب حتى استشهدت سمية . . بطعنة فى بطنها من حربة أبى جهل . . وكذلك استشهد زوجها .



وتوالت أحداث التعذيب .. على كل من آمن برسالة محمد عليه الصلاة والسلام .. ولكن هذا لم يجعل أحدا من الذين آمنوا .. يرتد عن إيمانه .. بل كانوا يزدادون إيمانا وتمسكا بدينهم .. ويرددون وهم يعذبون .. أحد .. أحد .. وكانت هذه الكلمة تزلزل الكفار من الداخل .. وتجعلهم يعذبون المسلمين بقسوة وغلظة وضراوة .. والسماء ترقب ما يحدث .. والقرآن يبشر المسلمين بالنصر .. وبأنهم هم الذين سَيَغْلِبُونَ وينتصرون .. وينزل قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾

(الآية ٤٥ سورة القمر)

ويقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية الكريمة .. ويقول عمر رضى الله عنه .. أى جمع هذا ونحن قلة وأذلة ؟ .. وتمضى السنوات ويلتقى المسلمون والكفار فى غزوة بدر .. ويهزم الكفار ويفرون من أرض المعركة .. بعد

أن قتل منهم أكثر من سبعين من زعماء قريش . . ويقف عمر ابن الخطاب وقد وضح التأثر الشديد على وجهه وهو يقول : صدقت يارب .

﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾

وهنا لنا وقفة . . ألم يكن الله سبحانه وتعالى قادرا على أن ينصر دينه من أول يوم ؟ . . ألم يكن جل جلاله قادرا على أن يجعل أئمة قريش أول من يؤمن ؟ .

نقول إن الله سبحانه وتعالى . . أراد أن يكون المسلمون الأوائل هم قمة الإيمان . . لا تغرهم دنيا . . ولا يفتنهم مال . . ولا يريدون شيئا إلا الأيمان والتقوى . . ولذلك جعلهم قلة . . وجعلهم أذلة دنيويا فقط . . حتى لا يدخل هذا الدين إلا صادق الإيمان . . الذى يضحى بماله وولده . . وكل ما يملك من مقومات الحياة فى سبيل الله .

ذلك أن هؤلاء المؤمنين الأوائل . . هم الذين سيحملون الدعوة إلى الدنيا كلها .

ولتصل الدعوة طاهرة نقية كما نزلت . . لابد ألا يكون فى صدور هؤلاء المؤمنين الأوائل . . ذرة من الدنيا . . إنهم سيفتحون بلاد العالم . . وتعرض عليهم الثروات . . وتفتح لهم أبواب القصور . . لو كان فى قلوبهم ذرة من حب

الدنيا .. مالوا إليها .. وإذا مالوا ، ضاعت قضية الدين فى أول الدعوة .

ولذلك لو بدأ الإسلام بأصحاب النفوذ فى الدنيا وأصحاب الأموال .. لآمن الناس نفاقا ورياء .. وتقربا من أصحاب النفوذ والسلطان .. تماما كما يحيط المنافقون بكل حاكم أو صاحب دنيا .. ولا انصرفوا بعد ذلك عن الدين فى أول أزمة .. كما ينصرف المنافقون من حول أى حاكم أو صاحب نفوذ إذا زال عنهم الجاه والسلطان .

فالله سبحانه وتعالى لا يريد لدينه أن يحمله المنافقون إلى أهل الأرض .. ليصبح سلعة تباع وتشترى .. وتتغير وتتبدل لمن يدفع الثمن .. لكنه يريد أن يحمل هذا الدين إلى الدنيا كلها .. صادقوا الأيمان الذين لا يبيعون دينهم بدنياهم .. والذين يخافون الله أشد من خوفهم من الناس جميعا .. فيقفون ليعلنوا كلمة الحق .. دون رهبة أو خوف .. ولا ينحرفون من أجل مال ومتاع الدنيا .

ولذلك كانت السنوات الأولى للإسلام .. سنوات تطهير واختبار للإيمان الصادق .. فلم يكن من يدخل هذا الدين .. ينال خيرا دنيويا .. بل كان يدخله وفى قلبه ذلك الإيمان .. الذى يجعله يتحمل كل شىء فى سبيل إيمانه .. عقيدة صادقة فى القلوب .. هذا ما أراده الله سبحانه وتعالى .

ولم تكن العقيدة الصادقة بالقول فقط .. ولكنها كانت بالتجربة الإيمانية الصادقة .. فهناك فرق بين القول وبين الأداء .. القول سهل .. ولكن التجربة العملية هى الامتحان الحقيقى للنفس البشرية .. ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

(الآية ١٦ سورة التوبة)

وهكذا كانت بداية الإسلام .. وما تعرض له المسلمون الأوائل من أنواع التعذيب والاضطهاد .. هى ما أراده الحق تبارك وتعالى لدينه .. ليطهر هذا الدين من المنافقين وضعاف الإيمان .. ولا يبقى فيه إلا أقوياء الإيمان المخلصون لدينهم .. وتحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وتحمل المؤمنون الإيذاء بصبر ورضاء !. كانوا كلما واجهوا الصعاب .. وكلما تعرضوا للأذى .. إزدادوا التصاقا بدينهم وإيمانا بربهم .. وكلما زاد الاضطهاد .. كان تمسكهم بالدين أقوى .



وزاد جنون قريش



ولكن قريشا كان يزداد جنونها كل يوم .. وذهبت إلى عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .. تطلب منه أن يترك محمد عليه الصلاة والسلام الدعوة .. ودار حوار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه .. أعلن فيه الرسول صلى الله عليه وسلم تمسكه الكامل بالدعوة .. واهتز أبو طالب من موقف ابن أخيه الذى كان قمة فى الإيمان .. وقال له إذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت .. فوالله لا أسلمك لشىء تكرهه أبدا .

وطلب أبو طالب من بنى هاشم وبنى عبد المطلب .. أن يمنعوا قريشا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فاستجابوا له جميعا إلا أبا لهب .. الذى كانت عداوته للإسلام ليس فوقها عداوة .

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وهو يتعرض لأقسى ما يتعرض له نبى .. يحتمى بقومه من أذى قريش .. وتأتي خديجة رضى الله عنها فتمسح عنه ما يلاقيه من عناء فى الدعوة إلى الله .. وأبو بكر يشترى العبيد الذين أسلموا

ويعتقهم . . حتى ينجيهم من العذاب والموت . . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحمل الأذى وهو صابر . . يلقون القاذورات فى طريقه . . ويضعونها على ظهره وهو يصلى . . فيقابل كل هذا بكريم خلقه وعظيم سماحته .

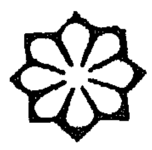
وعندما اشتد الأذى على المسلمين . . أشار عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . . أن يهاجروا إلى الحبشة هربا من الظلم والطغيان .

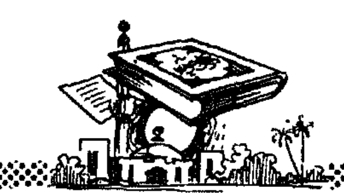
وأسلم عمر بن الخطاب . . وأسلم حمزة بن عبد المطلب . . وكان كلاهما قويا مرهوبا . . ولأول مرة صلى عمر بالمسلمين عند الكعبة . . بعد أن كانوا يؤدون صلاتهم فى شعاب مكة . . خوفا من أذى قريش . . وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو القبائل التى تأتى إلى مكة . . للحج أو للتبرك بالبيت الحرام أو للتجارة إلى الإسلام .

وأحست قريش بالخطر الجسيم الذى يتهددها . . فبدأوا يحاولون تشويه دعوة الرسول الكريم . . قالوا ساحر . . سحر الناس . . وقالوا شاعر . . وقالوا كاهن . . ولكن كل هذه الدعاوى سقطت .

فلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ساحرا . . لسحر كفار قريش ، لأن المسحور لا إرادة له مع الساحر . . ولو كان عليه الصلاة والسلام شاعرا . . لاشتهر بالبلاغة فى حياته . . ولكنه عليه الصلاة والسلام لم يقل بيتا من الشعر . . أو أحس

الناس ببلاغته . . طوال أربعين سنة عاشها معهم . . ولو كان عليه الصلاة والسلام كاهنا . . يأتى بالقرآن من عنده . . لتناقض مع نفِسه ، لأن الإنسان ينسى مع السنين والزمن .





ولكن كل هذا لم يفلح .. واستمرت الدعوة فى طريقها تنتشر وتنتشر .. وبنو هاشم وبنو عبد المطلب يحمون محمدا من إيذاء قريش .. وكان لابد من إجراء آخر .. حتى يتخلى بنو هاشم وبنو عبد المطلب عن حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ماذا تفعل قريش ؟ .. قرروا مقاطعة بنى هاشم وبنى عبد المطلب .. وكانت سنوات المقاطعة .. التى عانى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من الجوع حتى أكلوا ورق الشجر .

وكانت صناديد قريش قد كتبوا كتابا تعاقدوا فيه على مقاطعة بنى هاشم وبنى عبد المطلب مقاطعة تامة .. فلا يبيعونهم شيئا ولا يبتاعون منهم .. ولا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم .. وعلقوا هذا الكتاب داخل الكعبة .

واستمر الحصار حوالى ثلاث سنوات .. كانت قريش ترجو خلالها أن يتخلى بنو هاشم وبنو عبد المطلب .. عن محمد عليه الصلاة والسلام .. ويسلموه لهم ليفعلوا به ما يشاءون ..

وسلط الله سبحانه وتعالى أرضة الأرض فأكلت هذه الصحيفة . . فيما عدا كلمة (باسمك اللهم) التى بدأت بها . . وأبلغ الوحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . . فأبلغ عمه عبد المطلب الذى أبلغ كفار قريش . . وانتهت هذه العملية بتمزيق الصحيفة .

ولكن هذا لم يكن النهاية . . فلم تمض شهور على تمزيق الصحيفة . . حتى فاجأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعتان فى عام واحد . . اهتزت لهما نفسه الشريفة . . مات عمه أبو طالب ، وماتت زوجته خديجة . . وسمى هذا العام عام الحزن . . وبعد أن فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم . . حماية عمه وحنان زوجته . . ازداد إيذاء الكفار للمسلمين . .

كما ازداد إيذاؤهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . الذى تحمل فى صبر وجلد .

وضاق الرسول الكريم بإيذاء قريش . . وضاق بعناد الكفار من أهل مكة . . فخرج وحيدا دون أن يخبر أحدا إلى الطائف . . يلتمس من أهلها (بنو ثقيف) النصرة والمنعة . . ويدعوهم إلى الإسلام . . ولكنهم استقبلوه أسوأ استقبال . . سلطوا عليه صلى الله عليه وسلم سفهاءهم يسبّونه ويرمونه بالحجارة . . حتى دميت قدماه الشريفتان . . والتجأ إلى بستان يملكه عتبة وشيبة إبنا ربيعة . . وجلس فى ظل شجرة . . وقد

بلغ منه الحزن مبلغه . . وهو يرى صلى الله عليه وسلم جحود خلق الله . . بدعوته إلى دين الحق .

لم يكن أمامه إلا السماء . . تلك التى كلفته بالرسالة يبلغها للناس . . فقد استنفد صلى الله عليه وسلم . . كل أسباب الأرض مع قومه ومع غيرهم . . لكنه صلى الله عليه وسلم قوبل بالإيذاء والجحود والنكران . . رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره إلى السماء . . يشكو ظلم أهل الأرض . . فقال عليه الصلاة والسلام :

(اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس . ياأرحم الراحمين . . أنت رب المستضعفين وأنت ربى . إلى من تكلنى . إلى بعيد يتجهمنى . أو إلى عدو ملكته أمرى .إن لم يكن بك علَىَّ غضب فلا أبالى . ولكن عافيتك أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات . . وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك ، أو يحل على سخطك . لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم) .

وكان لابد من مدد من السماء يأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ليؤكد له : أنه إذا كان أهل الأرض قد تخلوا عنه . . فإن ربه سيحتفى به فى ملكوت السماء .

وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم . . إلى مكة وحيدا

كما خرج منها . . وعرفت قريش قصة الطائف . . فاشتد إيذاؤها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن آمنوا معه .

وفى ليلة مباركة . . جاء مدد السماء . . وحدثت المعجزة . . معجزة الإسراء والمعراج .



الفصل الثانى :



سبحان الذى أسرى

رسول الله صلى الله عليه وسلم .. تعرض لأذى كثير من المشركين والكفار .. وفى عام واحد .. هو عام الحزن .. ماتت زوجته خديجة رضى الله عنها .. وكانت سكناً له .. تداوى ما يلقاه من مشقة فى سبيل الدعوة .. كما مات فى نفس العام عمه أبو طالب الذى كان حماية خارجية له يحميه من الأذى ... وذهب رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى الطائف .. عله يجد هناك من يسمع كلمة الحق ويؤمن بدين الله .. ولكنه بدلا من ذلك وجد الجحود والنكران .. وسلطوا عليه سفهاءهم فأسمعوه ما يؤذيه .. وسلطوا عليه الصبية فقذفوه بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين .. والتجأ إلى بستان هناك يلتمس الحماية .. وجلس رافعا يديه إلى السماء .. مناجيا ربه لما يلقاه من أهل الأرض .. والله سبحانه وتعالى هو القائل لرسوله الكريم :

﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

(من الآية ١٢٧ والآية ١٢٨ سورة النحل)

وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة .. ولم يجد إلا المصعب بن عدى .. أحد كفار مكة ليجيره عند الدخول .. كل ما تعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم .. كان قاسيا على النفس .. فأراد الحق سبحانه

وتعالى . . أن يلفت رسوله الكريم . . أنه إذا ضاقت عليه الأرض فإن ملكوت السماء يحتفى به ويرحب به . . وأن ربه - الذى كلفه بهذه الرسالة السامية - بلا شك سينصره رغم كل هذه الشدائد .

ومن هنا جاءت معجزة الإسراء والمعراج .

وقبل أن نبدأ فى الحديث عن المعجزة . . فإننا لابد أن نلتفت إلى بداية سورة الإسراء التى يقول فيها الحق سبحانه وتعالى :

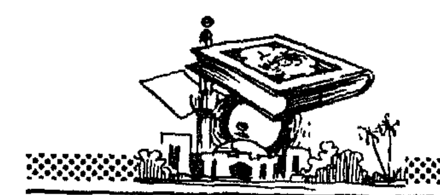
﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾

(من الآية الأولى . سورة الإسراء)

وبداية السورة بكلمة : ﴿ سبحان ﴾ . . معناه التنزيه . . أى تنزيه الله عز وجل . . عن أن يكون له مثيل . . فى صفاته أو أفعاله . . وسبحان . . هى تنزيه مطلق لله عن أن يكون له شبيه فيما خلق . . لا فى الذات . . ولا فى الصفات . . ولا فى الأفعال . . فالله سبحانه وتعالى موجود . . وأنت موجود . . ولكن هل وجودك كوجود الله جل جلاله ؟ .

الله سبحانه وتعالى سميع . . وأنت لك سمع . . ولكن سمعك ليس كسمع الله . . الله سبحانه وتعالى له ذات وكيان . . وأنت لك ذات وكيان . . ولكن لا مقارنة .

الفعل لله



من هنا فإنه إذا كان لله فعل .. فلا يمكن أن يقارن بأفعال البشر .. بل إن فعل الله خارج عن نطاق قدرات البشر .. وفوق طاقة عقولهم .. ولذلك إذا فعل الله سبحانه وتعالى شيئا .. فلا تسأل كيف ؟ لأن طاقة عقلك لا يمكن أن تدرك أسرار الفعل .. ولأن الله سبحانه وتعالى .. يفعل ما يشاء .. لا تحده قوانين ، لأنه هو خالق القوانين .. ولا يحتاج إلى أسباب .. لأنه سبحانه وتعالى هو الذى أوجد الأسباب ..

فالله ليس كمثله شىء .. وكل مخلوقات الله تخضع لمشيئته جل جلاله .. ولكن الله سبحانه وتعالى .. لا يخضع لمشيئة أحد من خلقه .. لأن ذاته وصفاته وأفعاله فوق كونه كله .. ولذلك فإن آيات الله لا تخضع لقوانين الكون .

ولقد أعطانا سبحانه وتعالى أمثلة كثيرة على ذلك .. وأبطل قوانين الكون لرسله وأنبيائه .. ليعطيهم معجزات تؤكد صدق بلاغهم عن الله .

فالنار خاصيتها الإحراق .. ولكن عندما أمسك الكفار بإبراهيم عليه السلام ليحرقوه فى النار .. لم يجعل الله سبحانه وتعالى إبراهيم يفلت منهم .. أو يخفيه عن أعينهم .. أو ينزل المطر لتنطفىء النار .. ولو فعل الله هذا لقال الكفار .. لو لم يختف إبراهيم عن أعيننا لأحرقناه .. ولو لم ينزل المطر لأكلت النار جسد إبراهيم .

ولكن الله تعالت حكمته .. جعل الكفار يمسكون بإبراهيم ، وجعل النار مشتعلة متأججة .. وألقى الكفار إبراهيم عليه السلام فى النار .. وكانت كل العقول والأسباب تقول أن إبراهيم سيحترق .. ولكن خالق النار وموجدها قال :

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾

(الآية ٦٩ سورة الأنبياء)

وهكذا سلب الله سبحانه وتعالى خاصية الإحراق عن النار .. ولا أحد يستطيع أن يقول كيف ؟ .. ولا أن يسأل هذا السؤال .. ولن يصل أحد إلى جواب مهما بحث .. لأن هذا فعل الله .. معجزة أرادها أن تكون فوق مستوى العقول والفكر البشرى إلى يوم القيامة .. وعندما كان موسى عليه السلام وأتباعه .. يفرون من فرعون وجنوده .. وفرعون يلاحقهم بجيشه .. ورأى أتباع موسى البحر أمامهم .. وجيش فرعون وراهم .. ماذا قال أتباع موسى ؟ .

يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ فَلَمَّا تَرَاءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾

(الآية ٦١ سورة الشعراء)

وكان هذا هو المنطق والعقل .. ولكن موسى عليه السلام وهو نبى .. يدرك أنه مرسل من رب الأسباب .. لذلك فإن الأسباب لا تحكمه ، وعندها قال موسى كما يروى لنا الحق :

﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾

(الآية ٦٢ سورة الشعراء)

ثقة فى الله سبحانه وتعالى .. أنه لن يتخلى عن نبيه .. وفعلا جاء مدد السماء .. وإذا بالحق سبحانه وتعالى يوحى لموسى :

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

(الآية ٦٣ سورة الشعراء)

وهكذا كان موسى عليه السلام على يقين .. انه إذا تخلت عنه أسباب الأرض .. فلن يتخلى عنه رب هذه الأسباب .. ومنذ حدثت المعجزة وحتى يوم القيامة .. لن يستطيع بشر أن

يضرب البحر بالعصا فينشق .. وعيسى عليه السلام .. حين أحيا الموتى بإذن الله .. وشفى الأبرص .. كانت معجزة من خالق الأسباب .. ولن يستطيع بشر أن يحيى ميتا .. أو يشفى مريضا بمجرد الإشارة .. كل هذه الأفعال ليس فيها كيف ؟ .. لأنها لا تنسب لأصحابها .. ولكنها تنسب إلى قدرة الله سبحانه وتعالى .. ولذلك تجد كلمة ﴿ سبحان ﴾ تأتى فى القرآن الكريم فى الأشياء التى تقف فيها العقول .. مثل قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الآية ٣٦ سورة يس)

هل يستطيع أحد أن يصل إلى سر الخلق ؟ .. مستحيل ذلك .. سواء كان الخلق مباشرا من الله .. أو بالأسباب من الذكر والأنثى .. فإن سر الحياة لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى .. ولذلك تجد أن الإنسان قد كشف الله له من علمه .. ما جعله يصنع الكثير فى الكون .. يصنع الصواريخ .. ويصل إلى القمر .. والعقول الألكترونية تشغل المصانع بأكملها .. وما يطلقون عليه الإنسان الآلى .

ولكن كل هذه الأشياء تبقى عند درجة صناعتها .. بلا حياة .. فلا هى تنمو .. ولا هى تتكاثر .. بل تقف عند

ما صنعت منه .. فى نفس الحجم الذى صنعت عليه .. وبنفس الهيئة .. ولن يصل أحد من البشر .. إلى أن يصنع من شىء ما ذكرا أو أنثى يتزاوجان .. أو ينمو ويكبر مع السنين .. فكأن الحق سبحانه وتعالى .. حين يسبق كلامه بكلمة ﴿ سبحان ﴾ .. فإنه يخبرنا بأن العقول البشرية ستقف عند هذا ولا تستطيع أن تتجاوزه .



معنى « سبحان »

وكلمة سبحان لم ترد فى القرآن الكريم .. إلا عند ذكر الأشياء العجيبة المعجزة .. لذلك حين تسمعها فى كلام الله سبحانه وتعالى .. فلا بد أن تعرف أن هذا تنزيه لله .. بأن الفعل الذى تم لا يقدر على فعله إلا الله جل جلاله .. و ﴿ سبحان ﴾ اسم .. وكل اسم لله يدل على الثبوت وعلى الدوام .. فكأن الله سبحانه وتعالى .. منزه قبل أن يخلق من ينزهه .

فإذا قرأنا قول الحق فى القرآن الكريم :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾

نقول إن الله أرادنا أن نعرف أن معجزة الإسراء والمعراج من فعل الله سبحانه وتعالى .. ولم تتم بقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم البشرية .. ولذلك بدأ السورة الكريمة بقوله : ﴿ سبحان الذى أسرى ﴾ .. أى أن كل ما سيأتى بعد ذلك .. منسوب لقدرة الله سبحانه وتعالى .

وأحداث الفعل تختلف بالنسبة للفاعل وتتناسب معه ..

فإذا قلت إن طفلا ضربنى بأقصى قوته .. تختلف كثيرا عما يحدث .. إذا قلت أن بطل الملاكمة فى العالم ضربنى بكل قوته .. الفعل واحد وهو ضربنى بكل قوته .. ولكن الفاعل مختلف .. هذا طفل صغير .. وهذا بطل العالم فى الملاكمة .

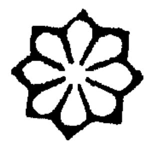
وإذا قلت أن فلانا الموظف البسيط أقام حفل عرس لابنته .. وقلت أن أغنى رجل فى العالم أقام عرساً لابنته .. الفعل واحد وهو حفل العرس .. ولكن القدرة مختلفة .. ولذلك فإن الأول تجده حفلا بسيطا .. والثانى تجده حفلا هائلا .

وإذا قلت إننى سافرت إلى الأسكندرية بالقطار .. وقلت أننى سافرت إليها بالطائرة .. وقلت إننى سافرت إليها بصاروخ .. الفعل واحد .. ولكن قوة الفعل تختلف .. ولذلك فإن الرحلة بالقطار تستغرق ساعات .. وبالطائرة نصف ساعة .. وبالصاروخ دقيقة .

إذن فالفعل يتناسب دائما مع قدرة فاعله .. فإذا قال الله سبحانه وتعالى .. إنه هو الذى أسرى برسوله صلى الله عليه وسلم .. يكون كل مافى الرحلة مما هو فوق قدرة العقول يمكن أن يحدث .

ولذلك حين قال العرب والرسول يروى ماحدث له فى الإسراء والمعراج .. أتدعى أنك أتيتها فى ليلة .. ونحن

نضرب إليها أكباد الإبل شهرا . . كان سؤالهم دليلا على أنهم لم يفهموا المعجزة . . فرسول الله صلى الله عليه وسلم . . لم يقل سَرَيْتُ . . وإنما قال أُسْرِىَ بى . . ومن الذى أَسْرَى به ؟ . . الله سبحانه وتعالى . . ولذلك عندما نسبوا الفعل لقدرة البشر . . نسوا قدرة الله سبحانه وتعالى . . ونسوا أن محمدا عليه الصلاة والسلام . . لم يقل سريت إلى بيت المقدس . . ولكنه قال أسرى بى . . وكان يجب أن يتنبهوا إلى قدرة الفاعل . . عندما يتحدثون ويقارنون المعجزة بقدراتهم البشرية .





الإسراء بالروح والجسد

الحق سبحانه وتعالى يقول : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ﴾ .. ولم يقل برسوله .. ولله جل جلاله فى كونه عبيد وعباد .. كلنا عبيد الله .. الطائع فينا والعاصى .. والمؤمن فينا والكافر والعياذ بالله .. ولكن عباد الله هم الذين أخلصوا له .. فاتحد اختيارهم مع منهج الله سبحانه وتعالى .. ماقال لهم إفعلوه فعلوه .. وما نهاهم عنه انتهوا .. ولذلك نجد فى القرآن الكريم .. عندما يريد الله أن يتحدث عن المخلصين من خلقه .. لا يسميهم عبيدا ولكن يسميهم عبادا .. واقرأ قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾

(الآية ٦٣ سورة الفرقان)

نقول إن الله جل جلاله قد استخدم كلمة ﴿ عبده ﴾ .. ليلفتنا إلى حقيقتين هامتين : الحقيقة الأولى .. أن الإسراء تم بالروح والجسد .. ولم يكن مناما .. ولكنه كان رؤية

حقيقية . . فكلمة عبد لا تطلق إلا عند التقاء الروح والجسد .

ولقد دار النقاش مع أولئك الذين استمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وهو يروى لهم ما حدث فى الإسراء . . على أساس أنه تم بالروح والجسد . . وإلا ما كانوا ناقشوا رسول الله عليه الصلاة والسلام فيما حدث . . فلو أن الإسراء كان مناما . . كما يدعى بعض الناس . . ما كان هناك مجال للنقاش . . وهل يناقش النائم فيما يراه ؟ .

إنك إن قلت إننى ذهبت إلى أمريكا وعدت إلى مصر . . عشرين مرة فى ليلة واحدة . . هل يكذبك أحد فى منامك ؟ . . طبعا لا . . فما يحدث فى المنام لا يخضع لنقاش العقل . . ولا يخضع لمنطق الأحداث . . فمثلا الملك فى عهد يوسف عليه السلام . . ماذا رأى فى المنام . . يقول الحق سبحانه وتعالى فى سورة يوسف :

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ ..

(الآية ٤٣ سورة يوسف)

هل هذا كلام يتفق مع العقل والمنطق ؟ . . وهل يأكل البقر

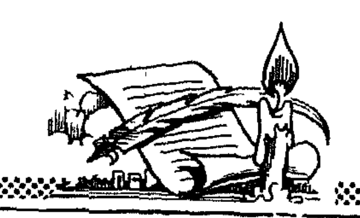
بعضه بعضا ؟ . . من منا رأى بقرة تأكل بقرة أخرى ؟ . . طبعا هذا لم يحدث . . ولو أن هذا كان قابلا للحدوث . . أيأكل البقر الهزيل الضعيف البقر القوى السمين ؟ . أم أن العكس هو الذى يتفق مع المنطق . . ولكن لا أحد منا رأى بقرة تأكل بقرة . . ومع ذلك عندما حكى الملك منامه لوزرائه وبطانته . . وطلب منهم أن يفتوه فيه . . هل ناقشه أحد منهم عقليا . . وقال له كيف يأكل البقر بعضه بعضا . . إن هذا لا يمكن أن يحدث . . لم يناقشوه . . لأن الأحلام لا تناقش بالعقل والمنطق . . ولا تخضع لأسباب البشر . . ولكنهم قالوا كما يروى الحق سبحانه وتعالى :

﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾

(الآية ٤٤ سورة يوسف)

إذن لم يدر نقاش إطلاقا . . حول الرؤيا التى رآها الملك فى المنام . . ولا أى نوع من أنواع المجادلة العقلية . . ولكن فى معجزة الإسراء دار نقاش . . وقالوا كيف يمكن أن تأتيها فى ليلة . . ونحن نضرب إليها أكباد الإبل شهرا ؟ .

إذن النقاش يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرهم أن الإسراء تم بالروح والجسد . . وجاء قول الحق جل جلاله : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ﴾ . . ليؤكد أن الإسراء تم بالروح والجسد .



هذه واحدة . . أما الثانية . . فهى أن الله جل جلاله يريد أن يثبت لنا أن العبودية له هى أسمى المراتب التى يصل إليها الإنسان . . فالعبودية لله عزة ما بعدها عزة . . وعطاء ما بعده عطاء . . وإذا قرأنا فى سورة الكهف نجد قول الحق جل جلاله :

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾

(الآيتان ٦٥ و ٦٦ سورة الكهف)

ونحن نعلم أن موسى رسول الله وكليمه . . وأن الله كلم موسى . . ومع ذلك فقد كان هناك عبد من عباد الله . . أعلم من موسى عليه السلام واتبعه ليأخذ منه . . أو ليتعلم عنه . . إذن فالحق سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا . . إلى أن العبودية له . . هى أعلى الدرجات . . بدليل أنه سبحانه وتعالى ذكر لنا فى سورة الكهف قصة موسى والخضر عليهما

السلام .. ولم يكن رسولا .. ولكنه كان عبدا ، فنال منزلة عالية عند الله سبحانه وتعالى .. وأنزل الحق جل جلاله عليه من فيوضات علمه .. مالم ينزله على موسى عليه السلام .

إذن فقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ أسرى بعبده ﴾ .. وكلمة ﴿ عبده ﴾ هى حيثية الإسراء .. تقول إن الحق سبحانه وتعالى أراد بها .. أن الإسراء تم بالروح والجسد .. وأن منزلة العبودية لله سبحانه هى منزلة عالية جدا .

ذلك أن العبودية لله شرف .. فالعبودية للبشرية نقيصة وذلة .. لأن السيد يريد أن يأخذ خير عبده .. وأن يجرده من كل حقوقه وماله .. ولكن العبودية لله عطاء ..

وقديما قال الشاعر :

حسب نفسى عزا بأنى عبد
يحتفى بى بلا مواعيد رب
هو فى قدسه الأعز ولكن
أنا ألقى متى وأين أحب

والله سبحانه وتعالى يريد أن نعلم .. أن هذه المنزلة الخصوصية .. لمحمد صلى الله عليه وسلم .. لأنه عبد .. وهذا هو أعلى مراتب الشرف والعطاء من الله .

إذن فقد عرفنا يقينا .. أن الإسراء تم بالروح والجسد .. وكل النقاش الذى دار حول معجزة الإسراء ، وكيف أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاها فى ليلة . . وهم يضربون إليها أكباد الإبل شهرا . . هذا النقاش يعنى أن الإسراء كان بالجسد . . وإلا ما كانوا كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . . لو أن الإسراء كان مناما . . أو بالروح فقط . . كما يدعى بعض ضعاف الإيمان . . والذين يحاولون أن يشككوا فى هذه المعجزة . . نكون بذلك قد انتهينا .. من أن الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى تم بقوة الله سبحانه وتعالى وقدرته . . وهذه القوة والمقدرة فوق العقول . . ونكون أيضا قد بينا أن الإسراء تم بالروح والجسد . . مصداقا لقوله تعالى ﴿ بعبده ﴾ . . وأن العبودية لله هى أشرف المراتب . . وأعلاها وأقربها إلى الله . . وأن الله سبحانه وتعالى يفيض من أسرار ملكوته على عباده المخلصين .

إلى هنا ويبرز سؤالان هامان : السؤال الأول : لماذا تم الإسراء ليلا ؟ . . والحق سبحانه وتعالى يقول :
﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ﴾ . . ولماذا لم يتم الإسراء نهارا ويرى الجميع بأعينهم ؟ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يركب الدابة التى أتى له بها جبريل عليه السلام وهى البراق ويشق بها عنان السماء . . ألم يكن هذا أقوى بالنسبة للمعجزة . . بحيث يراها الناس فى وضح النهار . . كما رأى أتباع إبراهيم النار

وهى لا تحرقه .. وكما رأى أتباع موسى البحر وهو ينشق .. ألم يكن الإسراء نهارا هو تأكيد للمعجزة فلا يكذبها أحد .. ولا يثور حولها ذلك الجدل الذى ثار من ضعاف الإيمان .

هذه واحدة .. أما الثانية .. فإذا كانت المعجزة منسوبة إلى قدرة الله سبحانه وتعالى وقوته .. فلم أخذت ليلة أو جزءاً من الليلة .. ألم يكن الله سبحانه وتعالى قادرا على أن ينقل رسوله عليه الصلاة والسلام من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فى لحظة أو أقل من لحظة ؟ .. ثم يعيده أيضا فى لحظة ؟ .. وكيف تأخذ المعجزة زمنا وهى بقدرة الله سبحانه وتعالى الذى لا زمن عنده .. مادام الفعل من الله جل جلاله .. فهل يحتاج الله إلى وقت ليتم معجزته ؟ .

كل هذه الأسئلة طرحت وقيلت من المستشرقين .. وكانوا يحسبون بذلك أنهم يهدمون المعجزة .. ولكن أسئلتهم هذه بينت نواحى الإعجاز فى الإسراء والمعراج .. تلك النواحى التى ربما لم يكن أحد يتنبه لها لو أن هؤلاء المستشرقين .. لم يشككوا فى الإسلام .. ولكن الله سبحانه وتعالى يسخر عبده غير المؤمن لخدمة دين الحق .. وليعرف الناس دواعى العظمة فى هذا الدين .



الفصل الثالث :



لماذا كانت غيبا ؟!

قبل أن نمضى فى حديث الإسراء والمعراج . . فهناك سؤالان هامان لابد من الإجابة عليهما . . السؤال الأول : لماذا تم الإسراء ليلا ؟ ولم يتم فى وضح النهار . . والسؤال الثانى : لماذا أخذ الإسراء زمنا ؟ . . والله لا زمن عنده .

حادثة الإسراء بدأت عندما كان رسول الله عليه الصلاة والسلام . . نائما فى الكعبة . . وقيل فى بيته . . وقيل فى بيت أم هانىء . . وكل الروايات صحيحة . . لأن رؤيا الأنبياء صادقة . . وتثبيت الأنبياء قبل المعجزات يأتى من الله سبحانه وتعالى . . حتى لا يفاجأ الرسول بالمعجزة .

فمثلا موسى عليه السلام . . أراد الله سبحانه وتعالى أن يرسله إلى فرعون . . والله تبارك وتعالى يعلم أن موسى سيواجه سحرة فرعون . . لذلك أراد الحق جل جلاله قبل أن يلقى موسى عصاه . . فتتحول إلى حية تلقف حبال السحرة . . أراد الله جل جلاله أن يدرب موسى عليه السلام . . على هذه التجربة حتى إذا واجه السحرة وألقى عصاه فتحولت إلى حية لا ينزعج ولا تأخذه المفاجأة فيخاف . . ولكن الله أراد لموسى أن يكون ثابتا وقت المعجزة . . ولذلك فإن الحق سبحانه وتعالى دربه عليها . . فلما كان موسى عائدا إلى مصر مع زوجته . . رأى نارا فذهب ليأتى بجذوة من النار . . يتدفأ بها هو وزوجته . . لأن الليل فى شتاء الصحراء يكون شديد البرودة . .

وحينئذ كلمه الحق سبحانه وتعالى . . فماذا قال له ؟
. . قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾

(الآية ١٧ وجزء من الآية ١٨ سورة طه)

والسؤال هنا يثير الاستغراب فى النفس . . والله سبحانه وتعالى حينما يسأل موسى : ﴿ وما تلك بيمينك ياموسى ﴾ . . هل لا يعرف الحق جل جلاله أن مافى يمين موسى هى عصا ؟ . نعم يعرف . . ولكن هذا ليس هو الهدف من السؤال . . إنما يهدف إلى أن يتأكد موسى يقينا أن مافى يمينه هى العصا . . حتى إذا تغيرت صورتها إلى هيئة أخرى . . لا يهزه الحدث . . بل يتأكد من هذه معجزة من الله . . وإذا رآها تحدث أمامه مرة ، ثبت فى المرة الثانية . . ولذلك قال له الحق جل جلاله :

﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾

(الآيتان ١٩ و ٢٠ من سورة طه)

لماذا ؟ . . لأن الله سبحانه وتعالى . . يريد أن يمر موسى بتجربة تحول العصا إلى حية . . حتى إذا وقع هذا أمام فرعون والسحرة . . فإن موسى لا يخاف وينزعج . . ولقد خاف موسى أثناء التجربة . . دخل الخوف إلى نفسه . . وهو يرى

العصى تتحول إلى حية . . فثبته الحق سبحانه وتعالى وقال :

﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴾

(الآية ٢١ سورة طه)

وذلك حتى لا يخاف موسى أمام فرعون والسحرة . . ويلتقط الحية وهو واثق أنها ستتحول مرة أخرى إلى عصا . . بل إن التجربة تعدت ذلك . . انها أخذت أكثر من شكل . . واقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾

(الآية ٣١ سورة القصص)

وهكذا نرى أن العصا خلال التجربة . . أخذت مرة شكل حية . . ومرة شكل جان . . وأن موسى خاف . . وجرى بعيدا من المفاجأة . . وكان هذا أثناء التجربة . . ولكن عندما تمت المعجزة أمام السحرة وفرعون . . كان موسى ثابتا . . وهكذا فإن الحق سبحانه وتعالى فى المعجزات يثبت أنبياءه بتجربة تحدث قبل المعجزة

ورسول الله صلى الله عليه وسلم .. ألم يبشر بفتح مكة ؟ .. وأراه الله سبحانه وتعالى فى رؤيا أخبر بها أصحابه .. واقرأ قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾

(من الآية ٢٧ سورة الفتح)

وهكذا كانت الرؤيا التى رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وحَدَّثَ بها أصحابه أنهم سيدخلون المسجد الحرام .. إذن فهناك شىء اسمه رؤيا الإيناس .. وهى أن يرى النبى الشىء مناما أو يقظة .. حتى إذا ما أصبح حقيقة كان له أنس به وإلف به .. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح .. ما يراه مناما لابد أن يتحقق ويصبح واقعا .. فمن قال إن الإسراء رؤيا منامية .. نقول له أنها رؤيا الإيناس أولا .. ورؤيا التذكير بالنعمة ثانيا .. وواقع الحادث ثالثا .

وبذلك نخرج من كل الروايات المختلفة .. حتى الروايات التى تذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُسْرِىَ به من بيت أم هانىء .. والتى تقول إنه أُسْرِىَ به من بيته .. والتى تقول إنه أُسْرِىَ به من المسجد الحرام .. نخرج منها بنفس الفهم .. فقد جاءته الرؤيا مرة وهو عند أم هانىء .. وجاءته مرة وهو فى بيته .. ومرة حقيقة واقعة وهو فى المسجد الحرام .. فلا تضارب بين الروايات المختلفة .. ولا بين رؤيا التثبيت والإيناس ورؤيا الواقع .. وأم هانىء ابنة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وكان بيتها قريبا من الكعبة .

ولكن الحقيقة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قد أُسْرِىَ به من المسجد الحرام .. هذا هو إسراء الواقع .. وأن الإسراء تم بالروح والجسد .. وإن كان ذلك لا يمنع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قد تعرض لحدث الإسراء مناما .. وتعرض له روحا ، وتعرض له يقظة وواقعا .. على أن بعض الناس لا يزالون يجادلون .. فى أن الإسراء لم يتم بالروح والجسد .. وهم يستخدمون فى ذلك النص القرآنى الشريف فى قوله تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِى أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾

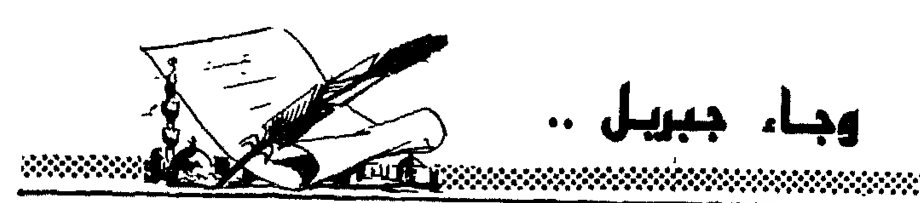
(من الآية ٦٠ سورة الإسراء)

ويقولون ﴿ الرؤيا ﴾ لا تستخدم إلا لما يُرى فى المنام . . أما ما يرى فى اليقظة ، فإننا نقول عنه « رؤية » . . نقول إذا كان المقصود هنا رؤيا منامية . . فكيف تكون فتنة للناس ؟ . . يصدقها بعضهم ويكذبها بعضهم . . لو كانت رؤيا منامية . . فلا يمكن أن يناقشها أحد تصديقا أو تكذيبا كما بينا . . ونحن لا يجب أن نأخذ بالشائع على ألسنة الناس .

ولكننا إذا عدنا للغة العربية قبل أن ينزل القرآن . . نجد أن كلمة ﴿ الرؤيا ﴾ وردت أيضا للبصر . . وذكرت كذلك فى كثير من قصائد الشعر لفحول الشعراء العرب . . والفرق الوحيد أنهم كانوا يستخدمون كلمة ﴿ الرؤيا ﴾ فى البصر . . عندما يتحدثون عن الأشياء الغريبة التى تشبه الحلم . . فإذا استخدمنا ﴿ رؤيا ﴾ بمعنى المشاهدة بالبصر . . فهذا لا يتم إلا إذا رأينا أمامنا أمرا عجيبا . . وإلا لو كانت الرؤيا منامية . . ما كانت فتنة للناس . . فلا أحد يناقش الأحلام كذبا أو صدقا . . ولا تكون الرؤيا أبدا فتنة .



وجاء جبريل ..



رسول الله صلى الله عليه وسلم .. جاءه جبريل وهو نائم فى الكعبة وأيقظه .. ثم أُتِىَ له صلى الله عليه وسلم بالبراق .. وهو دابة بيضاء فوق الحمار ودون البغل .. فركبها حتى أتى بيت المقدس .. فربطت الدابة فى الحلقة التى يربط بها الأنبياء دوابهم .

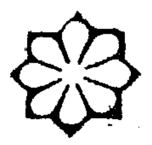
ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد .. فصلى فيه إماما بالأنبياء .. وعندما خرج أتاه جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن .. فاختار اللبن .. فقال جبريل أصبت الفطرة .

هنا يأتى السؤال الأول .. وهو :

لماذا وقعت حادثة الإسراء والمعراج ليلا ؟ .. مادام الإسراء قد حدث بقدرة الله مصداقا لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ سبحان الذى أسرى ﴾ .. إذن فالفعل منسوب لله تبارك وتعالى .

لماذا لم تقع المعجزة نهارا ؟ .. لماذا لم يأت الله سبحانه

وتعالى بالبراق فى وضح النهار . . ويستقله رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام الناس جميعا . . ويصعد به إلى السماء أمامهم . . حتى لا يوجد من يكذب هذه الواقعة أو يجادل فيها ؟





معجزة غيبية .. لماذا ؟

معجزات الأنبياء . . حدثت كلها أمام أقوامهم . . فإبراهيم عليه السلام ألقى فى النار . . وقومه يشاهدون . . وموسىَ عليه السلام انشق له البحر أمام قومه . . وعيسى عليه السلام حدثت معجزاته وشاهدها الناس جميعا . . فلماذا لم تتم معجزة الإسراء بهذه الكيفية . . واختار الله أن تتم ليلا ودون أن يشهدها أحد . . نقول إنك لم نفهم الحكمة من المعجزة . . فرسول الله صلى الله عليه وسلم . . يأتيه الوحى بالقرآن الكريم خفية . . أى لا يشهد أحد جبريل عليه السلام وهو ينزل بالقرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إذن المسألة المطروحة هنا مسألة إيمانية . . أى إخبار بغيب . . وليست مسألة مشاهدة . . ورسول الله صلى الله عليه وسلم له معجزات حسية كثيرة . . نبع الماء من بين أصابعه الشريفة . . وظلَّله الغمام . . ووضع يده فى طعام قليل . . فكفى جيشا بأكمله . . وطلب الكفار منه أن يدعو الله سبحانه وتعـالى . . أن يشق لهم القمر . . فـدعا الله وانشق القمركآية . . وغير ذلك من المعجزات الحسية . . فهل آمن

الكفار عندما رأوا هذه المعجزات ؟ . . لم يؤمنوا وقالوا ساحر سحر أعين الناس . . والله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز :

﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾

(من الآية ٥٩ سورة الإسراء)

وهكذا نرى أن الآيات الكونية . . لم تجعل الناس يؤمنون . بل أخذوا يفسرونها حسب أهوائهم . . فثمود قوم صالح مثلا طلبوا من نبيهم أن يخرجِ لهم من الصخرة ناقة . . فلما استجاب لهم الله لم يؤمنوا وعقروها .

وموسى عليه السلام حينما انشق له البحر بعصاه . . وعبره بنو إسرائيل . . وشاهدوا فرعون وجنوده وهم يغرقون . . كان أول شىء فعلوه . . أنهم وجدوا قوما بعد العبور مباشرة . . يعبدون الأصنام فعبدوها ! ، اقرأ قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾

(من الآية ١٣٨ سورة الأعراف)

وهكذا نرى أن المعجزة . . التى تمت لبنى إسرائيل . .

بأن شق الله سبحانه وتعالى لهم البحر . . وجعلهم يعبرون . . معجزة كبرى تمت أمام أعينهم . . ومع ذلك لم يمض إلا وقت قصير لا يزيد على ساعة أو ساعات . . وإذا بهم ينسون الله . . الذى حقق لهم المعجزة الكبرى . . وأنجاهم من فرعون وجنوده . . ينسون الله ويطلبون من موسى أن يجعل لهم أصناما يعبدونها . . إذن المعجزات التى خص بها الله سبحانه وتعالى أنبياءه لم تجعل إلا قليلا من الناس يؤمنون .

ولذلك عندما طلب الكفار من رسول الله صلى الله عليه وسلم . . معجزات حددوها . . لم يحققها لهم الله . . لأن تاريخ البشرية ومن سبقوهم كذبوا بالمعجزات الحسية رغم أنهم رأوها . . كما أن المعجزات الحسية مقصود بها الذين رأوها . . فمن لم يرها غير مطالب بها ولا هو مقصود بها .

ولكن الحق سبحانه وتعالى أراد أن تكون معجزة الإسراء . . دليلا إيمانيا يبقى إلى يوم القيامة . . لأن رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم باقية إلى يوم القيامة . . فجعلها غيبا عليه دليل مادى . . حتى تناقش بالعقل . . وتكون مدخلا للإيمان . . لأن الإيمان ليست أداته الرؤية . . فليس بعد العين أين . . ولكنه يتم بالدليل العقلى . . على أن ما هو غيب حدث فعلا . . ووجود الشيء مختلف عن إدراك وجوده . . وذلك واضح بالدليل العقلى . . فنحن مثلا لم نر الجراثيم إلا حديثا . . ولكنها كانت موجودة منذ بداية

الخلق . . وعدم علمنا بها لم يبطل مهمتها فى الكون .

ومن هذا الدليل العقلى وغيره من الأدلة عن أشياء كانت موجودة فى الكون . . ثم كشفها الله لنا فعرفناها . . مثل خصائص الغلاف الجوى . . أو الكواكب التى نكتشف منها المزيد مع مرور الزمن أو غير ذلك . . من هذا أقمنا الدليل العقلى . . على أن ما هو غيب عنا . . موجود وإن لم ندركه .





المعجزة .. ودليل العقل

الحق سبحانه وتعالى يريد أن يعطينا ـ بمعجزة الإسراء ـ دليلا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. صادق فيما يبلغنا به من منهج يوحى إليه من السماء .. ولذلك كانت المعجزة غيبا وقام عليها الدليل العقلى .. فلو أن المعجزة تمت نهارا .. ورأى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصعد إلى السماء على البراق .. لقالوا إنما سحرت أبصارنا .. واقرأ قوله الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾

(الآية ٧ سورة الأنعام)

وهكذا يلفتنا الحق سبحانه وتعالى .. إلى أنه لو أنزل صحيفة من السماء .. فلمسها الناس بأيديهم .. لقالوا انها سحر وليست حقيقة .. فهذا هو السلوك البشرى .. والله أعلم بخلقه .. ولذلك لم تكن المعجزة الحسية .. تفيد فى أن يصدقوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسرى به .. ولكن الذى يبقى هو أن تكون المعجزة غيبا وعليها دليل

عقلى . . لتؤكد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يوحى إليه .

وهذا ما حدث . . المعجزة تمت غيبا . . ولكن عليها أكثر من دليل عقلى . . فلما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا بما حدث . . كان أول ما قالوه . . نحن نضرب إليها أكباد الإبل شهرا . . وأنت تدعى أنك أتيتها فى ليلة واحدة . . أى أن الرحلة بين مكة وبيت القدس . . كانت تستغرق منهم شهرا كاملا . . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه ذهب وعاد فى ليلة واحدة . . وكان الرد العقلى على ذلك أن الله هو الذى أسرى برسوله . . ومحمد عليه الصلاة والسلام . . لم يدع أنه هو الذى أسرى بنفسه . . إذن القدرة هنا منسوبة لله جل جلاله .

هذه واحدة . . والدليل العقلى الثانى : أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . صف لنا المسجد الأقصى . . وقال رجل منهم أنا أعلم الناس ببيت المقدس . . فأخبرنى كيف بناؤه وهيئته ؟ فرفع الله سبحانه وتعالى المسجد الأقصى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فقال بناؤه كذا وكذا . . وأخذ يصفه وصفا دقيقا أذهل الحاضرين .

وهنا لنا وقفة . . فلو كانت قريش تعلم أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قد سافر إلى بيت المقدس . . ولو مرة واحدة ما سألوه هذا السؤال . . ولكنهم كانوا على يقين . . أنه

صلى الله عليه وسلم . . لم يذهب إلى المسجد الأقصى فى حياته . . ولكنهم طلبوا أن يصفه لهم كنوع من التعجيز . . وقالت له قريش . . صف لنا ماذا رأيت فى الطريق . . فقال إنى مررت بقافلة لكم فى مكان كذا . . وأن جملا قد ضل منهم . . وأن القافلة يتقدمها جمل لونه أسود . . وأنها ستصل إلى مكة فى شروق يوم كذا . . فخرجوا ينتظرون وصول القافلة . . ليعرفوا إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم . . قد صدقهم القول أم لا . . انتظروا طول الليل حتى أشرقت الشمس . . فصاح أحدهم الشمس أشرقت . . ورد عليه آخر والقافلة وصلت . . وكان يتقدمها الجمل الأسود الذى وصفه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .





كل هذه كانت أدلة مادية عقلية .. على أن المعجزة قد حدثت .. وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قد أُسْرِىَ به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .. وقد فتن بعض المسلمين ولم يصدقوا .. وانطلقوا إلى أبى بكر رضى الله عنه .. وقالوا له أن صاحبك يزعم أنه جاء إلى بيت المقدس ثم رجع إلى مكة فى ليلة واحدة .. فقال أبو بكر .. أو قال هذا ؟ قالوا نعم .. قال أبو بكر مادام قال فقد صدق .

وعندما أبدى المسلمون دهشتهم .. قال أبو بكر رضى الله عنه .. أنصدقه فى خبر السماء ونكذبه فى هذا .. وكان هذا القول من أبى بكر هو توضيح لحكمة الإسراء .. ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يأتيهم بالقرآن .. الذى ينزل به جبريل عليه والوحى غيب عنهم .. كان يجب أن يصدقوه فى معجزة غيبية حدثت له أقام عليها الدليل العقلى والمادى .. فيعرفون أنه صادق ، وأن رسالته هى رسالة الحق .

وهذا يبين لنا .. لماذا كانت معجزة الإسراء غيبا عن

الناس ؟ ولماذا لم تحدث فى وضح النهار ؟ . وكان المفروض بعد هذه الأدلة المادية التى قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم . . لتؤكد أنه أُسرى به . . كان المفروض لكل إنسان له عقل أن يزداد إيمانا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام . . ولكن الذين ارتدوا بعد إسلامهم عندما أخبرهم رسول الله عليه الصلاة والسلام بما حدث . . كانوا ضعاف الإيمان . . والله سبحانه وتعالى . . لم يكن يريد فى أول الدعوة . . أن يحملها ضعيف الإيمان . . بل كان جل جلاله يريد رجالا أقوياء الإيمان . . يحملون دينه إلى الدنيا كلها . . لا يهتزون أمام الترف الدنيوى . . الذى سيقابلونه فى أرض ستفتح لهم كفارس والروم . . ولكى يكون الإيمان فى قلوبهم أكبر مما تستطيع الدنيا كلها أن تعطيه .



وهكذا حققت المعجزة هدفين . . أقامت الدليل العقلى والمادى على أن كل ما يخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه . . هو صدق ولو كان غيبا عنا . . وخلصت الإسلام من ضعفاء الإيمان . . الذين لو كانوا قد استمروا على إسلامهم لأصابوا هذا الدين بالضرر البليغ ولم ينفعوه بشىء .

بقى بعد ذلك السؤال الثانى وهو . . الله سبحانه وتعالى لا زمن عنده . . فلماذا استغرقت معجزة الإسراء زمنا ؟ . ألم يكن الحق جل جلاله قادرا على أن يُسْرِىَ برسوله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فى لحظة . . نقول إنه جل جلاله كان قادرا على ذلك . . ولكن لابد أن نفهم أن لكل خلق من خلق الله قانون . . وكل خلق منا يرى ما يدخل فى قانونه . . فالبشر لهم قوانين تختلف عن قوانين الجان . . فالجن مثلا لأنه مخلوق من نار . . يستطيع أن يتحرك أسرع . . ويستطيع أن يتشكل بأشكال مختلفة . . ولكن الله سبحانه وتعالى رحمة بنا . . قد جعل كل من يتشكل بقانون . . يحكمه هذا القانون . . ولذلك إذا تشكل الجان فى

صورة إنسان وأطلقت عليه الرصاص قُتل .. لأنه خاضع لقانون البشر الذى تشكل به .. وكذلك الملائكة وكل خلق الله .. لهم قوانينهم الخاصة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم .. كان لابد أن يقيم الدليل المادى والعقلى .. على أنه قد أُسْرىَ به .. ولذلك كان لابد أن يرى أشياء وأحداثاً تخضع لقوانين البشر .. ليأتى ويرويها لأهل مكة .. كدليل على صدق المعجزة .. وأحداث البشر تحتاج إلى زمن .. فكل حدث بشرى حسب قوانين خلق الله للإنسان .. محتاجة إلى زمن .. فنحن بطبيعة قانوننا البشرى لا نستطيع أن نفعل شيئا فى لا زمن .. بل لابد لكل حدث من زمن .

ولذلك اقتضت بشرية الأحداث التى سيراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطريق بين مكة وبين المقدس .. أن يتم الإسراء فى زمن .. وأن يستغرق وقتا .. ولو أن الحق سبحانه وتعالى لم يرد من رسوله صلى الله عليه وسلم .. أن يقيم الدليل المادى والعقلى على صدق معجزة الإسراء .. لتمت المعجزة فى لا زمن .. ولكن لأنه جل جلاله .. أراد أن يعطى رسوله صلى الله عليه وسلم للناس الدليل المادى والعقلى على صدق المعجزة .. جعل المعجزة تتم فى ليلة .. لتستوعب الأحداث البشرية فيها .. وكان هذا الوقت الذى استغرقه الإسراء .. هو من تمام المعجزة وكمالها .

الفصل الرابع :



من مكة
الى بيت المقدس

تحدثنا عن الأسراء .. وكيف أنه تم بالروح والجسد .. وأن الله سبحانه وتعالى قال : « أسرى بعبده » .. لأن الأنبياء جاءوا ليعلموا البشر العبودية لله .. التى هى اسمى مراتب الإيمان .. ثم تحدثنا عن المعجزة ، وكيف أن إسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم استغرق زمنا .. وكيف أنه تم ليلا وما هى الحكمة فى ذلك ؟

قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾

(من الآية الأولى سورة الاسراء)

حدد الحق جل جلاله من أين بدأ الإسراء ، وإلى أين انتهى .. والمسجد الحرام هو مكان الكعبة المشرفة .. وهو أول مسجد وضع للناس فى الأرض منذ بداية الخلق ، إختار الحق سبحانه وتعالى مكانا فى الأرض هو مسجده .. مصداقا لقوله جل جلاله :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الآية ٩٦ من سورة آل عمران)

فكأن البيت الحرام كان موجودا فى الأرض .. من قبل أن

تطأها قدم بشر . . والناس تعتقد أن البيت الحرام هو الكعبة المشرفة . . نقول إن هناك فرقا بين مكان البيت والعلامة الدالة على المكان . . أو كما يقولون المكين . . فمكان البيت هو هذه البقعة المباركة فى مكة المكرمة . . وليس المكان هو بقعة سطح الأرض فقط . . بل إن كل مافوق البيت إلى السموات هو تابع للبيت ، ولذلك نجد أن بعض الناس الذين يذهبون للحج . . يصلون فى الطابق الثانى مثلا وهو أعلى من مستوى ارتفاع بناء الكعبة المشرفة . . نقول إن صلاتهم صحيحة . . لأن البيت يمتد إلى السموات . . ولذلك فإن ما على البيت هو من البيت . . وفى نفس الوقت فإن ما هو تحت البيت ممتد إلى باطن الأرض . . هو من البيت أيضا .

ذلك أن جو المسجد هو من المسجد . . والملائكة والرحمات تتنزل على المصلين . . ولذلك عندما نجد فى بعض المساجد مكانا مخصصا للسيدات فى الدور الثانى . . مع أن الإمام يقف فى الدور الأول . . أى أن المصليات يعلون الإمام . نقول إن صلاتهن صحيحة . .

ولقد تحدثت عن المساجد الموجودة فى أسفل العمارات . . وقلت أنها لاتعتبر مساجد إلا فى حالات الضرورة .

ذلك أن جو المسجد فى هذه الحالة توجد فيه الحائض ويوجد فيه الذين لم يتطهروا . . وهؤلاء يمنعون نزول الملائكة

والرحمات . . لأنها محتاجة إلى جو طاهر . . ولذلك تعتبر المساجد أسفل العمارات أماكن لصلاة الجماعة . . ولاتعتبر مسجدا إلا فى حالات الضرورة . .



معنى المسجد الحرام

المسجد الحرام .. أو البيت الحرام .. هو المسجد الوحيد الذى يوجد فى الأرض باختيار الله سبحانه وتعالى لمكانه .. أما المساجد الموجودة فى الأرض .. فهى مساجد باختيار خلق الله لأماكنها .. ولذلك جعل المسجد الحرام الذى شرفه الله باختياره قبلة لكل مساجد الأرض .. التى قامت باختيار خلق الله لأماكنها .

والمسجد يطلق على مكان السجود .. وكل مكان تسجد فيه هو مسجد لك .. ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجعلت الأرض لى مسجدا وطهورا .. أى أنه تصح الصلاة للمسلم فى أى بقعة فى الأرض.

المسجد الحرام وجد قبل أن ينزل آدم إلى الأرض .. وقيل أنه فى عهد نوح .. حين أهلك الله سبحانه وتعالى أهل الأرض الكفار بالطوفان .. طمست المياه العلامة التى يتعرف بها الناس على مكان البيت .. ولكن البيت نفسه باق كبقعة مباركة من الأرض .

وعندما جاء ابراهيم عليه السلام .. أمره الله سبحانه وتعالى .. أن يقيم القواعد من البيت .. أى يقيم العلامات التى يتعرف بها الناس على مكان البيت .

ولكن هل كان ابراهيم يعرف المكان ؟ .. رغم أن الطوفان قد أزال العلامات الدالة على المكان ؟ . لم يكن ابراهيم عليه السلام يعرف المكان .. ولذلك بينه الله له . وأرشده إلى مكانه .. وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾

(من الآية ٢٦ سورة الحج)

وهكذا دَلَّ الله سبحانه وتعالى ابراهيم على مكان البيت .. وأمره بأن يأخذ زوجته هاجر وابنهما اسماعيل .. ويتركهما فى مكان البيت ليقيما هناك .. وفجر لهما بئر زمزم لتوجد الحياة حول البيت .. فلا تضيع معالمه بعد ذلك .. وأمر الله إبراهيم وابنه اسماعيل .. أن يقيما القواعد من البيت .. كعلامة ليعرف الناس مكان بيت الله الحرام .. فأقاما بناء الكعبة المشرفة وحفظها الله تبارك وتعالى إلى يومنا هذا .. لتبقى دليلا لكل خلقه على بيت الله الحرام .



السجود والانسان



على أننا نلاحظ أن الحق جل جلاله قال :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾

(من الآية الأولى سورة الإسراء)

والمسجد هو مكان السجود كما بينا .. والصلاة التى نعرفها لم تفرض إلا بعد الإسراء والمعراج .. فكيف يأتى القرآن الكريم بوصف المسجد ، وهو مكان السجود بالنسبة للمسجد الحرام .. وبالنسبة للمسجد الأقصى .. مع أن الصلاة كما نعرفها لم تكن تقام فى المسجد الأقصى .. الذى أخذ هذا الاسم من أنه كان أقصى مكان وصل إليه العرب فى رحلاتهم وتجارتهم قبل الإسلام .

نقول الإنسان سجد لله سبحانه وتعالى منذ نزل على الأرض .. وأن السجود لله فى الأمم السابقة ، وإن كان يختلف عن الطريقة التى نسجد بها نحن .. فإنه كان

موجودا .. وإذا قرأنا قول الحق سبحانه وتعالى لإبراهيم عليه السلام .

﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾

(من الآية ٢٦ سورة الحج)

نعرف أنه كان هناك سجود لله سبحانه وتعالى فى عصر ابراهيم .. وقبل عصر ابراهيم .. ومنذ نزل منهج السماء إلى الأرض شُرع السجود .. ونجد أنه كان فى اليهودية سجود .. مصداقا لقوله تبارك وتعالى لبنى اسرائيل .

﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾

(من الآية ١٥٤ سورة النساء)

وهكذا نرى أن السجود كان مفروضا فى اليهودية .. وكذلك كان فى النصرانية .. مصداقا لقول الحق جل جلاله :

﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾

(الآية ٤٣ سورة آل عمران)

إذن السجود لله سبحانه وتعالى .. شُرع بالنسبة للإنسان منذ خلقه الله سبحانه وتعالى .

على أننا إذا تحدثنا عن كلمة مسجد . . فلابد أن نفرق بين الأماكن التى تخصص للعبادة فقط . . والأماكن التى تصلح فيها العبادة مع حركة الحياة .

لقد اتفق على أن يسمى كل مكان يخصص للعبادة مسجدا . . وإن كانت الأرض كلها مسجدا طهورا لأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . إلا ان هناك فرقا . . بين أرض تخصص للعبادة فقط . . وأرض تصلح لحركة الحياة .

المصنع فيه حركة الحياة . . وعندما يحين وقت الصلاة يباح لك أن تصلى فيه . . والأرض المزروعة فيها حركة الحياة وتصلح للصلاة . . ولكن إذا جئنا وميزنا وحددنا بأن هذا المكان مسجد . . يصبح مقصورا على الصلاة والعبادة فقط . . وأى شيء غير العبادة لايجب أن يتم فيه . . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . للرجل الذى جاء يبحث عن جمله الضال فى المسجد . . لارد الله عليك ضالتك . . وقال للذى حضر إلى المسجد ليعقد صفقة تجارية . . لابارك الله لك فى صفقتك . . لماذا ؟ .

لأن المسجد مخصص لعبادة الله . . فإياك أن تشغل نفسك بأمور الدنيا فيه . . إن معنى أن الأرض كلها مسجد . . أنها تصح فيها الصلاة وتصح فيها حركة الحياة . . ولكن المكان الذى خصص ليكون مسجدا . . لاتصح فيه حركة الحياة .

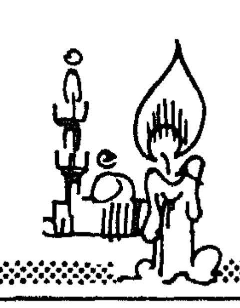
ولذلك فالمساجد تحت العمارات لا يتوافر فيها هذا

الشرط . . لأنه يوجد فى جو المسجد ـ وجو المسجد كما بينا ـ مسجد . . نقول يوجد فى جو المسجد حركة حياة . . ويوجد فيه الجنب والحائض والرجل الذى يأتى أهله . . إذن لم تعد سماؤه مسجدا . .

وقبل أن يتعلم المسلمون الطيران . . كان يحرم على الطيار الأمريكى غير المسلم . . أن يطير فى جو مكة . . لأن جوالحرم هو من الحرم . . ولايجوز لغير المسلم أن يدخل الحرم .



ما هى البركة



رحلة الإسراء كانت .. من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .. وقصى يعنى بعيد .. وأقصى يعنى أبعد .. وكما قلنا .. إن المسجد الأقصى .. كان أبعد مكان تصل إليه القوافل قبل الإسلام .. وإذا أكملنا الآية الكريمة نجد أن الحق سبحانه وتعالى يقول :

﴿ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾

(من الآية الأولى سورة الإسراء)

ماهى البركة ؟ .. البركة هى أن يعطى الشىء أكثر مما هو متوقع له .. فمثلا إذا أتينا بطعام يكفى ثلاثة أشخاص .. واجتمع حول المائدة عشرة أشخاص .. وأكلوا وشبعوا .. نقول : إن هذا الطعام فيه بركة .. لأنه كان متوقعا أن يكفى ثلاثة أشخاص .. ولكنه كفى عشرة .. وكذلك كل شىء يعطى أكثر مما هو متوقع له .

المال القليل إذا كفاك فترة طويلة .. يكون فيه بركة .. والثوب إذا ظل معك سنوات وسنوات .. دون أن يبلى يكون

فيه بركة . . والبركة مادية دنيوية ، أو روحية دينية . . البركة التى ينتفع بها المؤمن والكافر . . دنيوية فقط . . أما البركة الدينية . . فلا ينتفع بها إلا المؤمن . . وفى ذلك يلفتنا الحق تبارك وتعالى فى قوله :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

﴿ الآية ٣٢ سورة الأعراف ﴾

هذه الآية الكريمة تلفتنا . . إلى أن نِعَمَ الله سبحانه وتعالى . . فى الدنيا هى للمؤمن والكافر . . أما فى الآخرة فهى للمؤمنين وحدهم .

المؤمن والكافر فى الحياة الدنيا . . يشرب الماء العذب البارد ليطفىء ظمأه . . أما فى الآخرة فإن الكافر إذا طلب الماء . . جاءوا له بماء يغلى . . ومن شدة غليانه . . فإن مجرد اقتراب كوب الماء من وجهه . . يشوى وجهه . . فإذا شربه فإن الماء يغلى فى بطنه .

والدنيا فيها طعام مختلف ألوانه للمؤمن والكافر . . كل يختار حسب مايشتهى وحسب الرزق الميسر له . . فإذا جاءت الآخرة . . كان للكافر طعام من ضريع ملىء بالشوك لا يسد

جوعه ولكنه يقطع أمعاءه .

والمؤمن والكافر فى الدنيا يتمتعان بالثياب كل حسب قدراته . . هذا يلبس حريرا . . وهذا يلبس صوفا . . وهذا يلبس قطنا . . فإذا جاءت الآخرة وطلب الكافر الثياب فثيابه من نار تشوى جسده .

وكل منا فى الدنيا يذهب إلى فراشه ليلا . . ليستريح وينام على فراش من قطن . . أو من ريش أو غير ذلك . . كل حسب مقدرته . . فإذا جاءت الآخرة كان للكافر فراش من نار . . من فوقه ومن تحته . . لا تجعله ينام أبدا .

وهذا معنى الآية الكريمة التى تبين لنا أن النعم فى الدنيا للمؤمن والكفار . . أما فى الآخرة . . فهى للمؤمن وحده .

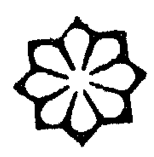
إذن البركة الدنيوية . . ينتفع بها المؤمن والكافر . . لأنها عطاء ربوبية من الله رب العالمين . . الذى خلق البشر كلهم . . واستدعاهم لكونه . . وكفل لهم أرزاقهم . . ولذلك فهو يعطيهم من كل الخير . . أيا كانت صوره . . دون تفرقة بين مؤمن وكافر .

وهناك بركة دينية . . يختص بها الله عباده المؤمنين فقط .

المسجد الأقصى جعل الله سبحانه وتعالى حوله بركة دنيوية ، وبركة دينية . . لأنه شهد رسل الله كلهم . . ابراهيم . . واسحق . . ويعقوب . . وزكريا ويحيى . .

وموسى وعيسى . . وهو مهبط الوحى على كل هؤلاء . . ومن هنا كانت فيه بركة دينية .

ومعنى قول الحق ﴿ الذى باركنا حوله ﴾ . . أى أوجدنا حوله بركتين . . بركة مادية فيما تعطى الأرض . . وفيما يأتى إليه من ثمرات . . وبركة دينية خاصة بالقيم . . التى أنزلت من السماء . . ومن اتبعها أخذ بركة الآخرة . . وكانت له نعم فى الآخرة لاتعد ولاتحصى . . فكأن الكافر يأخذ بركة الدنيا . . والمؤمن يأخذ بركتى الدنيا والآخرة .





ورأى الرسول آيات

وإذا قرأنا قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

(الآية الأولى من سورة الإسراء)

نجد أن الحق سبحانه وتعالى . . قد حدد مهمة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس . . وهى أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من آيات ربه . . وكلمة الآيات لاتقال على كل شىء موجود . . وإنما تقال على الموجود العجيب . . فيقال هذا آية فى الجمال . . أو آية فى الذكاء . . أى جماله مبدع . . أو ذكاؤه مفرط . . والآيات أطلقت على عدة إطلاقات . . فهناك آيات الكون التى يراها المؤمن والكافر . . مثل قول الحق سبحانه وتعالى .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾

(الآية ٣٧ سورة فصلت)

وتطلق الآية أيضا على المعجزات . . التى يخرق الله

سبحانه وتعالى بها قوانين الكون لأنبيائه .. لإثبات صدق بلاغهم عن الله .. وتطلق على آيات القرآن الكريم ..

الآيات التى رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمان .. آيات أرضية .. وهى تلك التى شاهدها خلال معجزة الإسراء .. وهى ما تحدثنا عنه .. ورؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الأشياء وهو يقطع هذه الرحلة فوق البراق .. بين السماء والأرض .. هى من آيات الله .. أن يريه كل هذا بهذه الدقة وهو بعيد عن الأرض .. ولكن هناك آيات أخرى من آيات الله سبحانه وتعالى . . عجائب لم يرها أحد .. إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الذى تجاوز عليه الصلاة والسلام .. فى رؤيته لآيات الله منزلة أقرب الملائكة إلى الله .. وهو جبريل عليه السلام .. وهذا ما سنتحدث عنه فى الفصول القادمة .

إذن فهدف الإسراء والمعراج .. هو أن يُريَ الله جل جلاله رسوله صلى الله عليه وسلم .. من الآيات مايذهب عنه الضيق والحزن .. الذى أصابه .. عليه الصلاة والسلام من جحود أهل الأرض وإيذائهم وعنادهم .. ويؤكد له أن السماء بملكوتها الواسع وآياتها العجيبة ـ تحتفى به .

وقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

(من الآية الاولى من سورة الإسراء)

والسميع هو من يدرك الكلام .. والبصير هو من يدرك الأفعال والمرائى .. والله جل جلاله سميع لأقوال رسوله صلى الله عليه وسلم .. بصير بأفعاله .. سميع لأقوال خصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم .. بصير بأفعالهم .

الله عز وجل يسمع ويرى .. القوم يكذبون محمدا عليه الصلاة والسلام ويؤذونه بفاحش القول والكلام .. وبصير بما فعلوه .. حين قذفوه بالحجارة وأدموا قدميه الشريفتين .. وسميع وبصير برسوله الكريم .. وهو يناجيه : (إلى من تكلنى) .. وهو يقول : (إن لم يكن بل غضب علىَّ فلا أبالى) .. ولذلك كانت استجابة السماء ليعرف الرسول الكريم .. أن كل ما يلقاه من كفر أهل الأرض وعنادهم ليس غضبا عليه من الحق سبحانه وتعالى .. ولكن لأن محمدا عليه الصلاة والسلام .. من أولى العزم من الرسل .. وأراد الله سبحانه وتعالى .. أن يؤكد لرسوله صلى الله عليه وسلم بالغ رضاه عنه .. فأراه من آيات السماء ما عرف منه مدى رضاء الله عنه عليه الصلاة والسلام .. ومدى حبه له .



وكانت الآية الأولى .. أن رسول الله عليه الصلاة والسلام صلى إماما بالأنبياء جميعا فى بيت المقدس .. وكانت هناك أكثر من وقفة للمشككين فى هذا الدين .. كيف يصلى رسول الله صلوات الله عليه وسلامه بالأنبياء وهم موتى وهو حى ؟ نقول إن الذين يثيرون هذا الكلام .. نسوا بداية الآية الكريمة فى قوله تعالى :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾

وأرادوا أن ينسبوا الأحداث لا إلى قدرة الله سبحانه وتعالى ولكن إلى بشرية رسول الله صلى الله عليه وسلم .. والقرآن الكريم لم يقل هذا .. ولم ينسب الفعل إلى بشرية رسول الله .. وإنما نسب المعجزة كلها إلى قدرة الله جل جلاله .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم .. لم يقل سَرَيْتُ .. ولم ينسب الأفعال إلى نفسه .. وإنما نسبها إلى قدرة الحق جل جلاله .. وقال أُسْرِىَ بى .. وإذا كنا نريد أن نناقش المسألة عقلا ومنطقا .. ألم يعط الله سبحانه وتعالى .. إلى عبد من

عباده ورسول من رسله . . هو عيسى عليه السلام . . ألم يعطه القدرة على إحياء الموتى ، وعلى أن يخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا تدب فيه الحياة بإذن الله . . مصداقا لقوله تبارك وتعالى :

﴿ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ ﴾

(من الآية ٤٩ سورة آل عمران)

ألم يُرِ الله جل جلاله عبدا من عباده . . وهو إبراهيم عليه السلام كيف يحيى الموتى . . مصداقا لقوله عز وجل :

﴿ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾

(من الآية ٢٦٠ سورة البقرة)

فإذا كان الله تبارك وتعالى قد أعطى بإذنه لعبدين من عباده هذه القدرة . . فما بالك إذا كان الفعل مباشرا . . من الحق جل جلاله . . ولم يكن بواسطة عبد من عباده . . ألا تكون القدرة أكبر . . والإعجاز أعلى ؟

وكما قلنا . . إن الذى يحكم مايراه أى خلق من خلق الله والقانون الذى يخضع له هذا الخلق . . وسواء غَيَّرَ الله سبحانه وتعالى قانون بشرية رسوله صلى الله عليه وسلم . . ليصلى بالأنبياء . . أو يكون غَيَّرَ قانون برزخية الأنبياء ليصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فالله جل جلاله قادر على الفعلين . . ولذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صلى إماما بالأنبياء . . وتمت هذه الصلاة بالكيفية التى أرادها الله سبحانه وتعالى . . وبالصورة التى قدرها جل جلاله .

وإذا قال قائل : كيف صلى رسول الله علية الصلاة والسلام بالأنبياء . . ولم تكن الصلاة المكتوبة فى الإسلام قد فرضت . . نقول : إن الله تبارك وتعالى قادر على أن يوحى لأنبيائه بالصورة التى تتم عليها الصلاة . . كما يريدها سبحانه وكما يتقبلها تبارك وتعالى .

إلى هنا . . وينتهى الإسراء . . ليبدأ المعراج . . والأحاديث التى وردت فى إثبات معجزة الإسراء كثيرة . . بلغت العشرين حديثا أو أكثر . . والكلام الذى قيل عنها كثير . . بعضهم قال أنها بالروح . . وبعضهم قال بالروح والجسد . . وبعضهم قال رؤيا منام . . وبعضهم قال واقع يقظة .

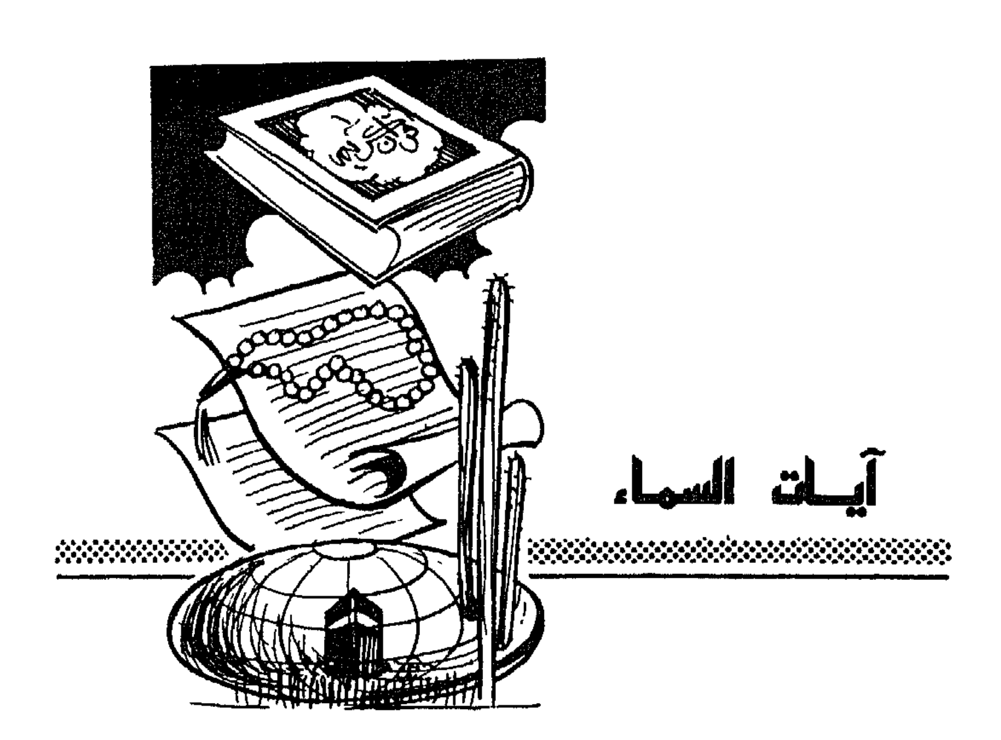
ولقد بينا بالأدلة . . كيف أن الإسراء يقظة بالروح والجسد . . ثم بدأ المعراج . . وعرج رسول الله صلى الله

عليه وسلم إلى السموات .. حتى بلغ سدرة المنتهى ، وفرضت الصلاة التى تمت بالأمر المباشر من الله سبحانه وتعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام .. وليست بواسطة الوحى ..

ماذا رأى رسول الله فى السموات ؟ .. وكيف عرج إليها ؟ .. وكيف كان فرض الصلاة ؟ .. وما هى الآية الكبرى التى رآها الرسول الكريم فى المعراج ؟



الفصل الخامس :



آيات السماء

قبل أن نبدأ فى الحديث عن المعراج . . وصعود رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء السابعة وإلى سدرة المنتهى . . وما رآه عليه الصلاة والسلام فى ملكوت السموات . . لابد من وقفة تقرب هذا كله إلى العقل . . ذلك أن المعراج هو فوق طاقة وقدرات العقل البشرى . . ومن رحمة الله سبحانه وتعالى . . أنه أعطانا أشياء حسية تقرب الغيب إلى عقولنا . . وترد على كل كافر منكر . .

كل خلق من خلق الله سبحانه وتعالى . . له قانون يتحكم فيه ، والقانون يتغير بتغير الخلق . . أو بتغير حالة المخلوق . . فهناك من له أكثر من قانون . . كل قانون ينطبق عليه فى مرحلة من مراحل حياته .

فالبشر مثلا لهم قانون يحكمهم . . مناسب لطبيعتهم البشرية . . والجان لهم قانون يحكمهم . . مناسب لأنهم خلقوا من نار . . فمادتهم التى خلقوا منها . . - وهى النار - شفافة أكثر من الطين . . ولذلك فإن لهم قانونا يختلف عن قانون البشر . . إنهم أكثر سرعة فى الحركة . . وأكثر قدرة على اختراق الجدران والأبنية . . والانتقال من مكان إلى آخر . . ولهم قدرة على التشكل . . ويرون مالانرى . . إذن هم أكثر قدرة منا طبقا لقوانين خلقهم .

والملائكة خلقوا من نور . . ولهم قوانين أقوى من قوانين الجان . . وقدرة على الصعود إلى السماء والنزول منها . .

وهم يرون ما لانرى ولاترى الجان .

إذن لكل مخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى قوانينه .. التي تختلف عن قوانين غيره من المخلوقات .. والتى تحكمه فلا يخرج من إطارها إلا بإذن الله .

وإذا أردنا أن نعرف ذلك .. فلنرجع إلى قصة سليمان حين أراد إحضار عرش بلقيس ملكة سبأ .. قبل أن تصل الملكة إلى مجلسه .. وكانت بلقيس ملكة سبأ .. قد غادرت مملكتها فى طريقها إلى سليمان .

يروى لنا القرآن الكريم هذه القصة فيقول :

﴿ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾

(الآية ٣٨ سورة النمل)

من هم الملأ الذين كان يخاطبهم سليمان ويطلب منهم أن يأتوه بعرش ملكة سبأ ؟ . الله سبحانه وتعالى يذكر لنا بعضا منهم .. فى قوله عز وجل :

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾

(الآية ١٧ من سورة النمل)

إذن عرفنا من هذه الآية الكريمة . . أن جنود سليمان من الجن والإنس وغيرهم . .

هل عندما تكلم سليمان . . وطلب إحضار عرش ملكة سبأ . . قام إنسان وقال أنا سأحضره . . هل قام إنسان يمتاز بقوة شديدة وخفة فى الحركة وقال سأحضره لك . . لا . . سكت الإنس جميعا حتى أقوى إنسان موجود فى مجلس سليمان .. لم يجرؤ على أن يفتح فمه ، لأنه يعرف أنه عاجز عن أن يأتى بعرش بلقيس . . لأن قوانين مادته تحكمه . . فهو غير كفء لهذه العملية . .





الأدنى والأعلى

لقد سكت الإنس جميعا لأن هذا الطلب فوق قدرة قوانينه .. هل تكلم الجن على إطلاقهم ؟ .. لا .. سكت الجن الضعيف .. والذى تكلم هو عفريت من الجن .. أى من أقوى الجان وأقدرهم .. ماذا قال العفريت ؟ .

يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾

(الآية ٣٩ من سورة النمل)

وكيف تصدى عفريت الجن لذلك .. لأن قوانينه تتيح له أن يسبق البشر .. فهو يستطيع أن يذهب إلى قصر ملكة سبأ .. ويحضر العرش قبل أن تصل الملكة إلى مكان سليمان .. وهو بحكم قوانينه أقوى وأقدر .. وحدد المدة بأنها قبل أن يقوم سليمان من مجلسه .

وكم يستغرق مجلس سليمان ؟ .. ساعة أو ساعتين أو نصف يوم أو أكثر أو أقل .. المهم أن عفريت الجن فى هذه

المدة المحدودة . . . سيأتى بعرش ملكة سبأ إلى مجلس سليمان .

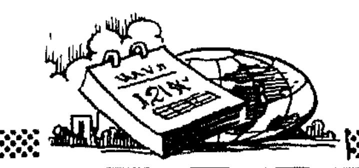
وهنا برز تحد آخر من الذى عنده علم من الكتاب . . إنسان أعطاه الله سبحانه وتعالى ـ وهو الأدنى فى قوانينه ـ خصوصية تجعله أقدر من الأعلى قانونا . . وذلك حتى نعرف أن القوانين لاتحكم إرادة الحق سبحانه وتعالى . . ولكن إرادة الحق جل جلاله ـ وهو خالق هذه القوانين ـ تستطيع أن تبدل قانون الأدنى بحكم خلقه . . لتجعله يتفوق على الأعلى بحكم الخلق أيضا . . ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾

(من الآية ٤٠ سورة النمل)

وهكذا أعطى الله سبحانه وتعالى من الخصوصية لإنسان ما جعله يتفوق على من هم أعلى منه فى قوانين الخلق . . ويفعل ما لا يستطيعون أن يفعلوه . . وذلك بعلم علَّمه الله له الكتاب .





وهكذا نرى أن الله سبحانه وتعالى . . قادر على أن يغير من قوانين خلقه مايشاء . . ولكن ليس هذا كل ما يحدث . . بل إن الله سبحانه وتعالى . . جعل قوانين مختلفة لنفس الخلق فى أطوار حياتهم المختلفة . . فالإنسان الذى يموت مثلا وينتقل إلى حياة البرزخ . . يرى مالا يراه الإنسان . . الذى مازال فى مرحلة الحياة الدنيا . . فإذا قرأت القرآن الكريم . . تجد الحق سبحانه وتعالى يخبرنا بذلك فيقول سبحانه :

﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾

(الآية ٢٢ سورة ق)

ألا يرى الإنسان الملائكة وهو يحتضر . . سواء كانوا ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب مصداقا لقوله جل جلاله :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾

(الآية ٥٠ من سورة الأنفال)

ولو . . حرف امتناع . . أى أننا لا نرى . . ولكن الذى يحتضر يرى . . كما يرى ملك الموت . . الذى جاء ليقبض روحه . . إذن فهناك قوانين . . لكل مرحلة من المراحل التى يمر بها الإنسان فى رحلة حياته . .

ولكننا سنضرب مثلا أسهل من هذا كثيرا . . سنضرب مثلا يحدث لكل واحد منا . . ويحدث له كل يوم . . وينتقل من قانون إلى قانون فى لحظة . . الإنسان وهو مستيقظ خاضع لقوانين اليقظة . . فإذا نام انتقل إلى قوانين أخرى لاعلاقة لها بقوانين اليقظة . . فهو يرى وعيناه مغمضتان . . ويمشى ويجرى وقدماه لاتتحركان من فوق السرير . . ويتكلم ولسانه ساكن . . وهو يرى أشياء عجيبة . . لم يرها فى حياته الدنيا ولاتخضع لقوانين العقل .

فقد يرى أنه يطير فى الجو بجسده . . وأنه يسقط من فوق جبل عال ولايحدث له شىء . . بل وأكثر من ذلك . فإنه يرى الذين انتقلوا إلى رحمة الله منذ سنوات . . ويستمع إليهم ويكلمهم ويكلمونه . . وتحدث له أشياء يرفضها العقل والمنطق . . ولكنه يراها فى منامه تحدث .

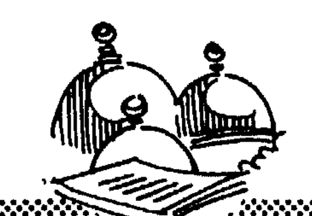
ما هى القوانين التى يخضع لها الإنسان عند النوم ؟ . . لا أحد يعرفها ولا يستطيع أن يحددها . . ولكنها مختلفة تماما عن قوانين اليقظة .

وهكذا ينتقل الإنسان من قانون إلى قانون مختلف تماما . .

بمجرد أن يضع جسده على السرير ويغمض عينيه لينام . . وإذا استيقظ . . انتقل إلى قانون اليقظة . . فى قدرته المحدودة . . واستخدام حواسه البشرية لمعرفة ما يدور حوله . . فإذا نام مرة أخرى . . انتقل إلى قانون النوم . . بكل ما يعطيه من قواعد تختلف تماما عن حالة الاستيقاظ .

وهكذا ـ كما ترى ـ فإن الإنسان نفسه . . ينتقل من قانون إلى قانون فى لحظة . . وبمنتهى السهولة دون أن يدرى أو يحس . . أن هناك شيئا غير عادى قد حدث له . . فإذا كان هذا هو الحال مع البشر العادى . . فماذا يحدث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . . خير خلق الله . . فى معجزة تتم بقدرات الله جل جلاله . . بلا شك أنه ينتقل من قانون إلى قانون إلى قانون . . حتى يصعد إلى السماء السابعة . . ولايجب أن يندهش أحد لذلك . . أويشك فيه . . لاننا نحن البشر العاديين . . ننتقل من قانون إلى قانون إلى قانون . . ونشهد ذلك ونعرفه .





وإذا أردنا أن نتحدث . . عما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معجزة المعراج . . فإنه كثير وكثير جدا . . ولكننا يجب أن نفهم أنه إذا كانت معجزة الاسراء . . هى معجزة تحد للبشر . . فإن الإسراء لم يأت هكذا . . لأن الله سبحان وتعالى جعل رسوله صلى الله عليه وسلم . . يرى مالا تتسع عقول البشر لإدراكه . . بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . خلال المعراج رأى الجنة ورأى الناربما فيهما . . ولكن هل تتسع عقول البشر لإدراك مافى الجنة ؟ . . إن فى الجنة ما لاعين رأت . . ولا أذن سمعت . . ولاخطر على قلب بشر .

وبما أن المعنى يوجد أولا . . ثم يأتى اللفظ بعد ذلك . . فلا توجد ألفاظ بشرية تستطيع أن تصف مافى الجنة . . ولذلك لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . يستطيع أن يجد الألفاظ التى يمكن أن تعبر عما رآه فى الجنة . . والتى يمكن أن تعبر عن كثير مما شهده الرسول صلى الله عليه وسلم . .

ولذلك فإن المعراج . . كان تثبيتا للرسول عليه الصلاة

والسلام . . وليعرف البشر أن الله سبحانه وتعالى . . قد أعطى لرسوله صلى الله عليه وسلم . . أشياءً فوق مقدور عقولهم . . وفوق مقدور تصور البشرية كلها . . وهذا يعطينا مؤشرين .

أولا منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ربه . . تلك المنزلة التى فاقت البشرية كلها . . وتعدتها إلى تفضيل لم يعطه الحق سبحانه وتعالى لأحد من خلقه .

وثانيا إن كل شىء سيحدث فى الدنيا وفى الآخرة . . موجود عند الله سبحانه وتعالى . . وهو جل جلاله يبديه لنا عندما يشاء . . ولكن لاشىء يخرج عن علمه . . وكل شىء موجود فى علمه . . ولذلك فلله سبحانه وتعالى أمور يبديها ولايبتديها . . أى أنها موجودة فى علمه جل جلاله . . ولكنه يبديها لنا فنعرفها .

ولعلنا إذا التفتنا لآيات القرآن الكريم . . نجد قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

(الآية ٨٢ من سورة يس)

وعلينا أن نتنبه إلى قول الحق جل جلاله ﴿ له ﴾ . . أى أن هذا الشىء موجود . . على أننا هنا لابد أن نلتفت . . إلى أنه وإن ذكر الزمن فى الإسراء . . فإنه لم يذكر فى المعراج . لماذا ؟ . لأن وجود الزمن فى الإسراء كان له مبرر . .

وهو الآيات البشرية التى رآها رسولنا صلى الله عليه وسلم . . والتى كانت دليلا عقليا على حدوث المعجزة . . ومادام الحق سبحانه وتعالى قد أعطى الدليل العقلى . . فى أنه خرق قوانين الكون لرسوله فى أمر حسى . . تدركه العقول وأن غاب عن الحواس . . فالله جل جلاله . . الذى خرق القوانين فى المعجزة الأرضية . . قادر على أن يخرقها فى الصعود إلى السماء . .

إذن فرحمة بعقولنا . . جعلنا الله بالدليل العقلى . . نتأكد من حدوث معجزة الإسراء . . حتى إذا حدثنا عن صعود رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء . . فإننا نصدق . . فالأرض أرض الله والسماء سماؤه . . وهو قادر على أن يغير القوانين فى الأرض والسماء .



ولكن أحدا منا لم يصعد إلى السماء .. ثم يعود إلى الأرض حتى يمكن أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أن يصف له مافى السماء .. كما سألوه أن يصف لهم بيت المقدس .. إذن فالمعجزة هنا فى المعراج .. لاتحتاج إلى زمن .. كما احتاجت معجزة الإسراء .. فلذلك فالزمن فيها لم يذكر .. وليس عاملا هاما يلزم وجوده ..

رسول الله صلى الله عليه وسلم .. رأى فى السماء الأولى آدم .. وفى السماء الثانية رآى يحيى وعيسى عليهما السلام .. وفى السماء الثالثة رآى يوسف .. وفى السماء الرابعة رآى إدريس .. وفى السماء الخامسة رآى هارون .. وفى السماء السادسة رآى موسى .. وفى السماء السابعة رآى إبراهيم .. كل هؤلاء أنبياء الله .. على نبينا وعليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام .

هل هذا الترتيب الذى رآه الرسول للأنبياء فى السموات يعنى أفضلية نبى على نبى .. أم أنهم جميعا فى منزلة « عالية » ؟

نقول إن الترتيب لا يعنى أبدا أفضلية .. والله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز :

﴿ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾

(من الآية ٢٨٥ سورة البقرة)

إذن فالتفرقة هنا غير موجودة .. والقرب والبعد من الله سبحانه وتعالى ليس بالمسافات .. بل إن القرب والبعد بين الإنسان والإنسان .. لاتتحكم فيه المسافة المادية .. فقد يكون هناك إنسان يجلس إلى جوارك .. بينك وبينه أمتار .. ومع ذلك فهو بعيد عنك .. لايخطر على بالك ولاتحس به .. وإنسان بعيد عنك مئات الأميال ومع ذلك فهو قريب من نفسك .. فأنت تفكر فيه طول الوقت .. وتحس به كل لحظة .. وهو أقرب إلى نفسك ممن يعيشون معك .

وهذا يفسر لنا معنى قرب الله من الناس .. لأنهم مشغولون به وبعبادته .. وذكره وتسبيحه .. ولايدخل فى ذلك المسافات .



رسول الله صلى الله عليه وسلم .. رأى أشياء كثيرة فى المعراج .. لن نتعرض لها جميعا .. ولكننا سنعطى فقط بعض الأمثلة .

مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم يزرعون ويحصدون فى يوم .. وكلما حصدوا ، عاد الزرع فى نفس ساعة الحصاد كما كان قبل أن يحصد .. فسأل جبريل .. من هؤلاء ؟ .. قال هؤلاء هم المجاهدون فى سبيل الله .. تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف .. وما أنفقوا من شىء .. فإنه يضاعف لهم .

ورآى عليه الصلاة والسلام .. امرأة عجوز حاسرة عن ذراعيها .. عليها من كل زينة .. فلما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها .. قال جبريل هذه هى الدنيا .

وهذا المثل يقرب إلينا معنى الحياة الدنيا .. وهى أنها تغرى الناس بزينتها وتفتنهم .. ولكنهم لا يأخذون منها شيئا .

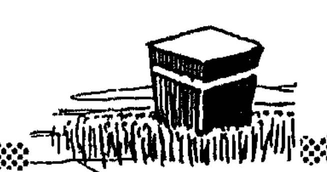
لماذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا فى صورة

امرأة عجوز ؟ . . لأنه لم يبق من عمر الدنيا الكثير . . فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (بعثت أنا والساعة كهاتين) وأشار بأصبعيه . . وهذا دليل على أن الساعة قد اقتربت . . ولم يبق من عمر الدنيا الكثير . . ولذلك فهى تبدو كامرأة عجوز .

ولكن الإنسان لايجب أن يشغل نفسه بعمر الدنيا . . لأن عمر الدنيا لايقاس بما بقى من حياة الكون . . ولكن يقاس بعمرك أنت فيها . . وإذا كان متوسط عمر الإنسان ستين أو سبعين سنة . . فبقاؤك فى الدنيا قصير . . محدود بعمره وينتهى .

فكأن الدنيا مهما أعطتك . . فإن عمرها بالنسبة لك قصير . . ستين أو سبعين سنة . . ولذلك فهى تبدو دائما كامرأة عجوز . . لأن الإنسان لا يمكث فيها إلا قليلا . .





ثم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أشخاصا يرضخون رؤوسهم بالصخر . . أى يضربونها بالصخر بشدة . . حتى تشق وتسيل منها الدماء . . ثم تعود كما كانت . . ويعودون هم مرة أخرى ليضربوا رؤوسهم بقوة فى الصخر . . ثم تعود كما كانت . . فقال الرسول الكريم من هؤلاء يا جبريل ؟ . . قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة .

هذا المثل يرينا أن العقوبة تأتى من واقع الأوامر المنهجية . . فكما عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن والخمر . . فاختار اللبن . . فقيل هُدِيتَ إلى الفطرة . . لأن الفطرة بطبيعتها نقية . . واللبن نشربه لاصنعة للإنسان فيه . . بينما الخمر لابد أن نترك الثمر الذى تصنع منه حتى يتعفن ويتخمر . . واللبن لأننا نشربه كما خلقه الله يحفظ لنا عقولنا وأجسادنا سليمة . . بينما الخمر ـ لأنها دخلت فيها صناعة البشر ـ تفسد العقل وتعطله . . والله سبحانه وتعالى يريد عقل الإنسان واعيا . . حتى ينفذ التكاليف من صلاة وزكاة وصيام وغير ذلك . . هذا العقلَ عندما تغيبه بالخمر

فكأنك ـ بفعلك هذا ـ رددت على الله نعمته الكبرى التى تمكنك من أداء التكاليف . فكيف تصلى ، أو تصوم ، وعقلك غائب ؟ !

إذن تغييب العقل هنا . . جريمة كبرى فى حق التكليف . . فإذا جئنا إلى المتكاسلين عن الصلاة . . فإن الذى يجعل الإنسان يتكاسل عن الصلاة . . هو عقله وفكره . . لأن العقل يصور له أنه لو ترك البيع . . فسيفلس وسيذهب رزقه . . فيستمر فى التجارة ويتكاسل عن الصلاة . . أو يفكر فى مشاكل أخرى خاصة بحركة الحياة . . ويتكاسل عن الصلاة . . ولذلك جاء العقاب فى المكان الذى يوجد فيه العقل مناط التكليف . . لأن المجنون والذى لايكتمل عقله لايكلف . .

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلال المعراج . . قوما تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد . . كلما قرضت عادت كما كانت . . فسأل من هؤلاء يا جبريل ؟ . . قال هؤلاء خطباء الفتنة . . الذين يقولون ما لايفعلون . . وأى شىء فى الدنيا قد لايتأثر فى الفصل بين القول والفعل . . تقدر تأثر منهج الله . . ذلك أن عالم الدين لابد أن يكون قدوة . . حتى يتبعه الناس ويستمعوا له .

فعالم الكيمياء مثلا أو الفلك أو الهندسة . . قد يفعل مايشاء من سلوك غير قويم . . ولكن هذا لايؤثر على أن يأخذ عنه

الناس . . علم الهندسة أو الطب أو الكيمياء أو غير ذلك . . إلا عالم الدين . . إذا لم يكن قدوة دينية وسلوكية . . انصرف عنه الناس . . ورفضوا أن يأخذوا عنه دينهم .

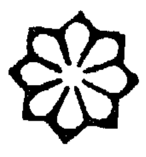
ولذلك فإن خطباء الفتنة هؤلاء الذين قالوا شيئا . . وفعلوا شيئا مخالفا . . صرفوا الناس عن دينهم . . لأن الله سبحانه وتعالى قد مكنهم من الدين ومن وعظ الناس . . ومع ذلك لم يرعوا هذه النعمة بأن يكونوا قدوة دينية سلوكية . . ويعملوا بمنهج الله . . بل انطلقوا يفعلون غير ما أمر به الله . . وعندما أحس الناس بذلك . . رفضوا أن يأخذوا عنهم العلم وضلوا .

ولذلك تقرض شفاههم وألسنتهم . . التى كانت سببا فى أن ينصرف الناس عن الدين . . وأن يبتعدوا عن منهج الله .

ويلفتنا الحق تبارك وتعالى الى ذلك فيقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

(الآيتان ٢ و ٣ سورة الصف)





ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. صخرة يخرج منها ثور كبير .. ويريد الثور أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع .. قال جبريل لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم .. إن هذا مثل الرجل يعطى الوعد ويقسم عليه .. ثم لايستطيع أن يفى به ولا أن يرجع فيما وعد وأقسم .. ولذلك فإن الحق سبحانه وتعالى .. يطالبنا بألا نكثر من القسم .. وألا نعد بشىء الا ونحن قادرون على الوفاء به .. ولذلك يقول الحق جل جلاله :

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(الآية ٩٤ سورة النحل)

وقوله تبارك وتعالى :

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾

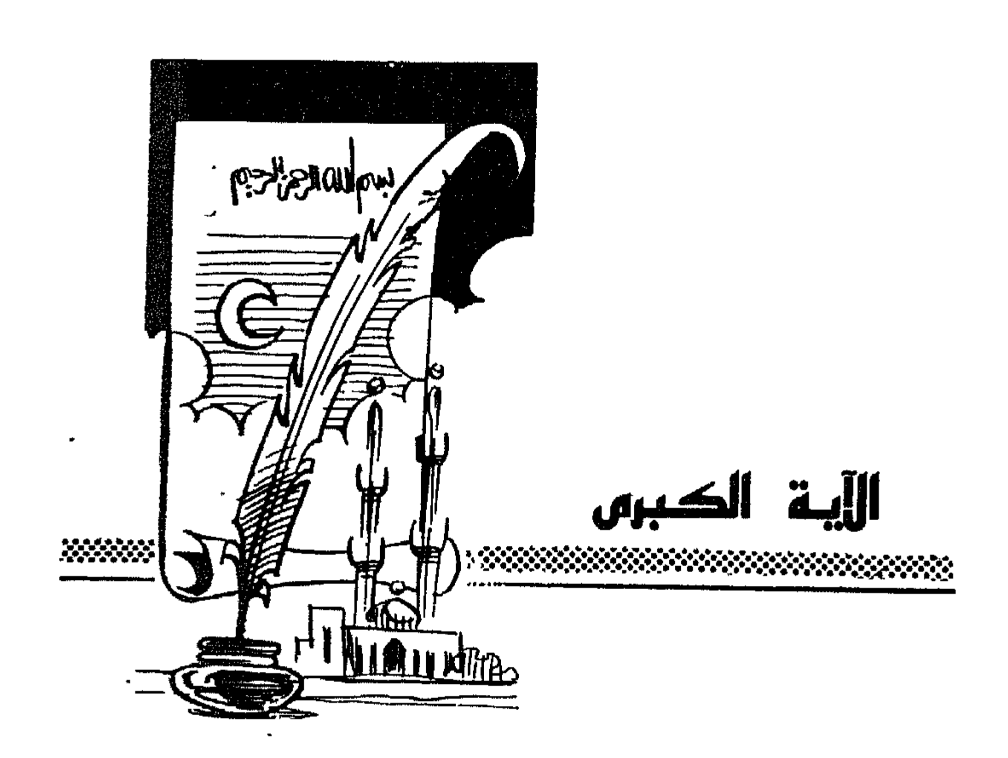
(من الآية ٩١ سورة النحل)

والرجل يقول الكلمة ويعطى العهد . . وقد لايتنبه أن عليها حساباً . . ويحاول الرجوع فيهما فلا يستطيع .

على أن هناك مرائى كثيرة . . رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المعراج . . وهناك الآية الكبرى التى أراها له الله . . وهناك سدرة المنتهى التى وصل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وهناك الكثير مما سنتحدث عنه .



الفصل السادس :



الآية الكبرى

ما زلنا مع مارآه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فى معجزة المعراج .. ووصوله إلى سدرة المنتهى .. وإذا كنا سنعرض لبعض مارآه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فإننا سنعطى أمثلة فقط .. لأننا لن نستطيع الإحاطة بكل الروايات .

والناس فى الدنيا مشغولون بشيئين .. المال يجمعونه من حلال وحرام .. وأعراض الناس يعتدون عليها قولا وفعلا .

إذن فالمال والعرض هما أساس الفساد فى الأرض .. المال رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سيتعرض له أكلة الربا .. فقد رأى رسولنا عليه الصلاة والسلام .. قوما يسبحون فى بحر من دم .. ويلقمون الحجارة بأفواههم .. فسأل عنهم جبريل عليه السلام .. فقال هؤلاء أكلة الربا .

وهذا تجسيد مادى لما يفعله أكلة الربا .. ذلك أن الدم حين يكون فى الجسد يكون نافعا .. وحين يخرج من الجسد يكون فاسدا لا فائدة منه .. فكأن هؤلاء الذين يأكلون الربا .. هم الذين أخرجوا المال عن وظيفته النافعة فى الحياة ليفسدوه بالربا .. وبذلك يكونون قد منعوا المال من أن يؤدى دوره فى حركة الحياة .. فيضيع الاقتصاد فى الأرض .. ولذلك فهم استبدلوا بالغذاء النافع للإنسان .. لقم الحجارة التى لا تنفع .

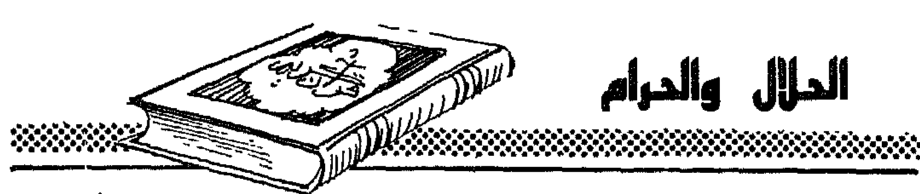
والربا معناه أن يزداد الغنى غنى والفقير فقرا .. وليست هذه

هى وظيفة المال فى الدنيا . . لأن المال يستخدم فى عمارة الأرض وفتح أبواب العمل للناس . . والتصدق على الفقير والمحتاج . . ولكن الربا بدلا من أن يجعل الدم يجرى فى العروق . . ليعطى الإنسان القدرة على العمل والإنتاج . . أخرجه من العروق ليصبح وسيلة لعدم العمل وعدم عمارة الأرض .

فالمرابى لا يزداد ماله بالعمل . . ولكن باستغلال حاجة الناس . . وهؤلاء أكلة الربا فى بطونهم النار . . والنار وقودها الحجارة . . ولذلك فهم يلقمون الحجارة حتى تستمر النار مشتعلة . . فى بطونهم لا تنطفىء أبدا . . فهم بلقمهم للحجارة ضمان لاستمرار الوقود حتى لا تنطفىء النار .

أما عن الأعراض التى تمثل الفساد الثانى فى الكون . . فقد رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فى صورة الذين يعتدون على أعراض الناس قولا وفعلا . . والذين يعتدون على أعراض الناس قولا . . قوم لهم أظافر من نحاس . . يخدشون بها وجوههم وصدورهم . . والوجه هو أكرم شىء فى الإنسان .

فأنت عندما تريد أن تذل إنسانا . . تقول أنك وضعت أنفه فى التراب . . ومعنى ذلك منتهى الذلة . . وهؤلاء قد اعتدوا على أعراض الناس قولا . . وشوهوا صورتهم . . فيأتى الله بهم يوم القيامة . . ليشوهوا أكرم شىء فيهم وهو الوجه . . جزاء بما شوهوا به صور الناس .



ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أناسا يتركون اللحم الطيب أمامهم ويأكلون اللحم النتن .. فسأل جبريل عنهم فقال .. هؤلاء هم الزناة .. الرجل تكون عنده المرأة حلالا طيبا .. فيتركها ويذهب إلى المرأة فى الحرام .. والمرأة يكون عندها الرجل حلالا طيبا .. وتذهب إلى الرجل فى الحرام .

ورأى رسول الله عليه الصلاة والسلام رجلا يحمل حملا لا يقدر عليه .. ثم يمد يده إلى شىء آخر ليزيد حمله .. وقال جبريل هؤلاء هم الذين يحملون الأمانات ويعجزن عن أدائها .. ومع ذلك يحبون أن يزيدوا ظهورهم حملا بقبول أمانات جديدة .

هذه هى بعض المرائى التى رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد يتساءل بعض الناس .. كيف رأى رسول الله المتكاسل عن الصلاة ؟ .. مع أن الصلاة المكتوبة فى الإسلام لم تكن

فرضت . . وكيف رأى كل ما رأى ؟ . . مع أنه لم يأت زمانه بعد ؟ .

نقول : إن الله سبحانه وتعالى عالم غيب السموات والأرض . . كل شيء موجود في علمه .

وإذا كنا نحن البشر إذا أردنا أن نبني عمارة . . جعلنا لها نموذجا مصغرا يسمى ماكيت . . وكلما كان المهندس بارعا . . كان هذا النموذج بالغ الدقة والتفاصيل . . فكيف بالله سبحانه وتعالى وهو المبدع الأعظم لهذا الكون . . عنده صورة لما سيحدث في كونه . . من بداية الخلق إلى الخلود في الجنة أو النار . . وما سيحدث بعد ذلك . . مما لا يعلمه إلا الله .

وإذا كان المهندس البشري كلما كان بارعا . . قامت العمارة وفق النموذج الذي أعده لا تختلف عنه . . كذلك عمارة الكون تتم وفق علم الله القدير الذي لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السموات . . والتنفيذ هنا بقدرة الخالق . . ومادام الله سبحانه وتعالى وحده . . عنده غيب السموات والأرض . . ففي علمه كل شيء . . وكما قلنا فإن عنده جل جلاله أمور يبديها ولا يبتديها .



ما هى سدرة المنتهى

وظل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل يصعدان حتى وصلا إلى سدرة المنتهى . . وسدرة المنتهى هى المكان الذى ينتهى عنده علم الخلائق كلها ولو بالوحى .

إذن فسدرة المنتهى هى التى ينتهى عندها . . علم خلق الله سبحانه وتعالى . . إنسا وجانا وملائكة . . حتى الأشياء التى تُوحَى . . تقف فى العلم عند سدرة المنتهى .

يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴾

(الآيات من ١٣ - ١٥ سورة النجم)

وهنا نسأل : من الذى رآه الرسولُ مرة أخرى ؟ . يقال أنه جبريل . . رآه فى صورته كما كان ينزل بالوحى طوال رحلة الإسراء . . ثم رآه فى صورته الملائكية الحقيقية مرة أخرى . . عند سدرة المنتهى .

ولابد أن نفهم أن القوانين التى خضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لها عند سدرة المنتهى .. كانت أرقى قوانين الخلق .. لأنه وصل إلى المكان الذى ينتهى عنده علم الخلق كلهم .. وعند سدرة المنتهى لا يمكن لأى مخلوق من مخلوقات الله .. أن يصفها أو يصف جنة المأوى .

إن العلم لكى ينتقل من بشر إلى آخر .. لابد له من أسلوب .. والأسلوب يحتاج إلى اللغة .. واللغة تحتاج إلى توضيح .. والتوضيح يوجب علينا أن يوجد المعنى أولا .. ثم بعد ذلك يوجد له اللفظ .. وهذه أمور لم تسمعها آذاننا ولم ترها عيوننا .. ولم تدركها عقولنا .. ولا خطرت على قلوبنا .. كيف نضع لها ألفاظا .. لابد أن نأخذها عن الله سبحانه وتعالى بما أخبرنا به .. دون أن نسأل كيف ؟ .. أو نحاول الحصول على توضيح .. لأننا عاجزون .. فإذا أخبرنا الحق سبحانه وتعالى .. بشيء يقرب الصورة إلينا فإننا نأخذه عند قول الله تبارك وتعالى .

ولذلك عندما يحدثنا الله سبحانه وتعالى عن الجنة .. لا يعطينا صورتها ، لأنه ليس عندنا معان تعطينا الصورة الحقيقية .. ولكنه جل جلاله يقول :

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾

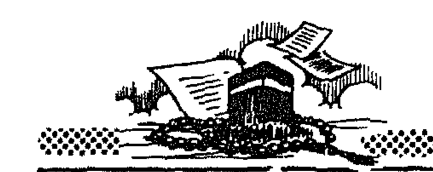
(من الآية ٣٥ سورة الرعد)

ولكن هل هذه هى الجنة ؟ .. إنها مثلها فقط .. لأن الجنة فيها مالا عين رأت .. ولا أذن سمعت .. ولا خطر على قلب بشر .. فلا يمكن أن يستوعب العقل البشري مافيها .. ولكن الحق سبحانه وتعالى .. يقرب الصورة إلينا .. بقدر ما تفهم عقولنا المحدودة .

فإذا وصلنا إلى المرحلة التى يدخل فيها المؤمنون الجنة .. فإننا سنرى إن شاء الله .. نعيما لا يعرفه أهل الأرض .. وليس لهم إلف به .. لأنه فوق قدرة عقولنا جميعا .







الآية الكبرى

الحق عز وجل يقول :

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾

(الآية ١٨ سورة النجم)

وإذا تدبرنا هذه الآية .. لوجدنا أنها إخبار من الله سبحانه وتعالى لنا .. وليست إخبارا من رسوله صلى الله عليه وسلم .. رسول الله عليه الصلاة والسلام لم يقل رأيت الآية الكبرى .. ولكن الله عز وجل هو الذى أخبرنا بها .. ولكن هل أخبرنا الحق سبحانه وتعالى بها .. لأننا سنفهم أو سنعرف ؟ .. أو تستطيع عقولنا أن تستوعب ماهى الآية الكبرى لله سبحانه وتعالى ؟ .. طبعا لا .. فنحن قاصرون عن أن نفهم آيات كثيرة لله تبارك وتعالى .. فما بالك بالآية الكبرى ؟ ! .

إن لله جل جلاله آيات لا تعد ولا تحصى .. آيات نراها وندركها .. وآيات هى غيب عنا فى الأرض وفى السماء .. لا نراها ولا ندركها .. والكون كله آيات قد لا نتنبه إلا للقليل

منها .. ولقد ورد اسم الآية الكبرى بالنسبة لموسى عليه السلام فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ۝ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾

(الآيتان ٢٢ - ٢٣ سورة طه)

نقول إن لله سبحانه وتعالى .. آيات كبرى فى الأرض .. وآيات كبرى فى السماء .. ولقد رآى موسى عليه السلام الآية الكبرى فى الأرض .. أما رسولنا صلى الله عليه وسلم .. فلقد رأى آية ربه الكبرى فى السماء .

أخبرنا الله جل جلاله أنه أرى رسولنا الكريم الآية الكبرى فى السماء .. وهذا الإخبار ليس مقصودا به أن نفهم ونعرف ماهى الآية الكبرى لله سبحانه وتعالى .. لأنها كما قلنا فوق طاقة عقولنا .. ولكن المقصود بها هو أن نعرف المنزلة الرفيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند ربه .. ومادام رسول الله عليه الصلاة والسلام .. قد رآى الآية الكبرى .. فلابد أنه رأى قبلها آيات وآيات .. ولكن بعض المفسرين يقولون .. إن معنى قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾

(الآية ١٨ سورة النجم)

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. رأى الآيات الكبرى لله .. أى الآيات العظيمة لله سبحانه وتعالى .. وأن الكبرى وصف للآيات بأنها كبرى .. ولكن السياق يؤكد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. رأى الآية الكبرى من آيات ربه .. فآيات الله التى رآها رسوله الكريم فى السموات كلها آيات كبرى .. وحسبها عظمة أنها منسوبة لله سبحانه وتعالى .

ولكن هناك آية كبرى رآها رسولنا عليه الصلاة والسلام .. تقف العقول عندها بلا حركة .. ﴿ لقد رآى من آيات ربه الكبرى ﴾ لو أخذناها بالسياق اللغوى .. لكان معناها لقد رأى الآية الكبرى من آيات ربه .. فكأن الكبرى هى المفعول .. وليست وصف الآية .

ولذلك عندما نقرأ الآية الكريمة .. ﴿ لقد رآى من آيات ربه ﴾ .. ماذا رأى من هذه الآيات ؟ .. رأى الآية الكبرى .. ولقد كانت رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم .. للآية الكبرى هى المرحلة الأخيرة فى رحلة المعراج .



وقف جبريل .. وتقدم الرسول



لقد كان جبريل عليه السلام .. يصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .. طوال رحلته فى السموات .. ولكن الآية الكبرى لم يقدر عليها جبريل .. ولا أحد من الملائكة المقربين لله سبحانه وتعالى .. بل انفرد برؤيتها رسولنا الكريم .. ولذلك فإن جبريل كان يتقدم رسولنا الكريم ويسأله الرسول عما يرى .. ويفيده جبريل طوال رحلة المعراج .

وعندما وصلا إلى سدرة المنتهى .. حيث رأى رسولنا الكريم جبريل على الهيئة التى خلقه الله عليها .. وليس على الهيئة التى كان ينزل بها فى الوحى .. عندما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل إلى سدرة المنتهى .. لم تكن رحلة المعراج قد انتهت .. وإنما كان لها بقية .. فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. من جبريل أن يتقدمه فى بقية الرحلة .. كما حدث فى المعراج كله .. ولكن جبريل امتنع .. وقال هنا مقامى .. لو تقدمت لاحترقت .. وأنت يا رسول الله لو تقدمت لاخترقت .

ما معنى هذه الجملة ؟ .. معناها أن قوانين ملائكية

جبريل .. لا تسمح له إلا بالوصول إلى سدرة المنتهى ..
وهى كما قلنا .. التى ينتهى عندها علم الخلائق كلها
ولو بالوحى .. ولذلك فإنه إذا تقدم .. فإن قانونه لا يتحمل
فيحترق .



درجة لا تتحملها الملائكة



ومعنى ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . قد وصل إلى درجة لا تتحملها ملائكية جبريل عليه السلام . . فأصبح رسولنا الكريم وحده . . الذى يستطيع أن يتقدم وأن يخترق .

وبهذا تكون الآية الكبرى هى المرحلة الأخيرة للمعراج التى لم يقدر عليها جبريل . . ولا أحد من الملائكة . . وانفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم بها .

ولقد رأى رسولنا صلى الله عليه وسلم خلال رحلة المعراج مشاهد كثيرة . . رآها رمزا مقدورا . . وسنراها رمزا مفعولا بالنسبة للناس فى الآخرة .

والحق سبحانه وتعالى يحكم آياته فى كل ما يقع فى الكون . . فهو بعلمه وقدرته يحكم الآيات حتى فى الأمور التى للبشر اختيار فيها . . ولذلك عندما نزلت الآية الكريمة :

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾

(الآيات من ١ ـ ٣ سورة المسد)

هذه الآية أخبرتنا بمصير أبى لهب .. وهو مازال على قيد الحياة .. أى فى فترة الاختيار البشرى .. ومع ذلك فإن أبا لهب لم يخطر على باله .. أن يعلن إسلامه ولو نفاقا أو رياء .. ليهدم قضية الدين .. بل بقى على كفره .. ليكون ـ وهو الكافر ـ آية على صدق القرآن الكريم .

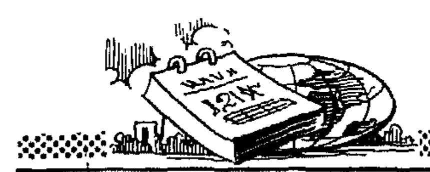
وعندما نزلت الآية الكريمة :

﴿ الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

(الآيات من ١ ـ ٤ سورة الروم)

لم يخطر على بال أحد من الروم أو الفرس .. أن يتقدم لعقد صلح أو إنهاء حرب ليهدم الدين الجديد .. ورغم أنه قد مر حوالى تسع سنوات .. بين نزول الآية الكريمة وانتصار الروم .. وكان هذا الزمن كافيا جدا .. ليعقد الفرس والروم صلحا ويتجنبوا الحرب .. فإن هذا لم يحدث ووقعت الحرب وانتصر الروم كما أخبر القرآن .

.. كل هذا يرينا أن المشاهد التى رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وهى واقع مقدر .. أى ما زال فى قدر الله .. ستتحقق لما رآها رسولنا الكريم ، وسنراها واقعا فى الآخرة .



إلى هنا ونأتى إلى النقطة الأخيرة . . وهى فرض الصلاة . . وكل أركان الإسلام وأحكامه جاءت بالوحى . . الا الصلاة ، فإنها فرضت بالأمر المباشر من الله سبحانه وتعالى . . فالصلاة هى الصلة بين السماء والأرض . . وهى صلة العبد بربه . . وهى الرمز لعبودية الإنسان للخالق العظيم .

وكما قلنا . . فإن كل الرسالات السماوية . . جاءت لتبين للناس كيف يعبدون الله . . العقل البشرى يستطيع أن يصل إلى أن هناك قوة كبرى هى التى خلقت وأوجدت هذا الكون . . ولكنه لا يستطيع أن يصل إلى ما يريده الله من خلقه . . وكيف يعبدونه ؟ وما هو منهج الخالق العظيم ؟ .

والصلاة هى جامعة لأحكام الدين كله . . وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة . . فإن صلحت . . صلح الدين كله . . ولذلك لعظيم قدر الصلاة . . التى فيها العبودية الحقة لله والسجود له . . فرضت بالأمر المباشر من الله جل جلاله . . إلى رسوله صلى الله عليه وسلم .

وسنتحدث تفصيلا عن الصلاة فى كتب قادمة تصدر عن هذه المكتبة .. إن شاء الله .

الصلاة المفروضة من الحق سبحانه وتعالى عبادة تقربك من الله .. أو تقربك من خالقك .. فهى لا تعطيك مالا ولا جاها .. ولا أى شىء دنيوى .. والإنسان صناعة الله تبارك وتعالى .. فالله هو خالقه .. وكل صنعة تقف أمام مهندسها وموجدها كل يوم خمس مرات .. لابد أن تكون على أوفى شىء من الصلاح .. وإذا كان المهندس من البشر يصلح الآلة بالماديات .. فالله سبحانه وتعالى يصلح عبده ـ الذى يقف بين يديه خمس مرات كل يوم ـ بالغيبيات .. فتجد أنك بعد الصلاة .. قد ارتاحت نفسك وزالت همومك .. وأصبحت قويا فى مواجهة أحداث الحياة .

وأركان الإسلام الأخرى قد تسقط عن العبد .. فالفقير تسقط عنه الزكاة .. والمريض يسقط عنه الصوم .. وغير المستطيع يسقط عنه الحج .. ولكن الصلاة لا تسقط عن المؤمن أبدا .. فإنه إذا لم يستطع أن يصلى واقفا صلى جالسا .. فإن لم يستطع صلى راقدا .. فإذا لم يستطع أجرى الصلاة على جوارحه .. ولذلك فهى لا تسقط أبدا .

وإذا أردنا أن ندخل في الموضوع .. وهو فرض الصلاة . فالروايات قالت إن الله سبحانه وتعالى .. فرض خمسين صلاة فى اليوم والليلة .. وعندما التقى رسول الله صلى الله عليه

وسلم .. وهو عائد بموسى عليه السلام .. قال له : ارجع إلى ربك واسأله التخفيف .. وتكرر هذا حتى صارت خمسا فى الأداء .. وخمسين فى الثواب .

هنا يجب أن نفرق بين عداوتنا لليهود وموسى عليه السلام .. فموسى رسول من أولى العزم .. ولا يجب أن يكون فى نفوسنا له إلا الحب والتقدير .. بصرف النظر عن شعورنا نحو اليهود .. الذين بدلوا وغيروا فى التوراة .. ولو أن هؤلاء كانوا أتباع موسى حقا .. لآمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام .. لأنه مذكور عندهم فى التوراة .. ولكن اليهود أتباع موسى إسما .. وليسوا أتباعه حقا .

لقد قالوا إن لقاء رسولنا صلى الله عليه وسلم بموسى .. وما تبعه من تخفيف الصلاة .. هو فرض لوصاية موسى على الإسلام .. وهذا غير صحيح .

ماهى الوصاية ؟ .. هى أن تفرض الشىء الذى تريده ولو قهرا على صاحبه .. هل فرض موسى عليه السلام شيئا على الإسلام قهرا أو اختيارا ؟ .. لم يحدث ذلك .. وكانت هذه العبارة ـ عبارة الوصاية ـ تكون صحيحة لو أن موسى هو الذى خفف الصلاة من خمسين إلى خمس .. ولكن من الذى خفض عدد الصلوات ؟ .. إنه الله جل جلاله هو سبحانه وتعالى الذى فرض .. وهو سبحانه وتعالى الذى خفف .. فأين الوصاية والأمر كله من الله .

رسولنا صلى الله عليه وسلم . . عاد لمصدر التشريع الأصلى . . ومنه أخذ الأمر . . ومنه كان التشريع . . فكيف يقال إن هناك وصاية من أحد ؟ . . والأمر كله لله . . إذا كان هناك شيء يستدل عن تخفيف عدد الصلوات وإبقاء ثوابها دون أى نقصان . . فهو أن الله سبحانه وتعالى . . كان رحيما بأمة محمد عليه الصلاة والسلام . . فأبقى الثواب كما هو لم ينقص . . مع تخفيف عدد الصلوات .

إذن فالوصاية هنا هى لله سبحانه وتعالى وحده . . فهو جل جلاله الذى شرع . . وهو الذى خفف . . ولا يمكن أن يقال أى تفسير آخر .

إلى هنا وننتهى من حديثنا . . عن معجزة الإسراء والمعراج . . تلك المعجزة التى فاقت كل المعجزات . . فقد أُسْرِىَ برسول الله صلى الله عليه وسلم . . من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . . وعُرج به إلى سدرة المنتهى . . « ورأى من آيات ربه الكبرى » .

وهنا نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قد قال : ﴿ رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ . . ولم يقل أَرَيْنَاهُ . . لماذا ؟ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فى هذه المنزلة العالية . . رأى بنفسه . . ولم يكن فى حاجة إلى إراءة . . لأنها منزلة عالية جدًا . . ليس فيها ما يحجب الرؤية . .

والله نسأل التوفيق والهدى .

الفهرست

رقم الإيداع ٥٨٦١ / ٩٧

الترقيم الدولى

I. S. B. N.

977 - 08 - 0336 - 7

طبعت بمطابع دار أخبار اليوم

فى رحلة العطاء المتواصل لفضيلة الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى إشراقات و إلهامات متجددة تنير الطريق للسالكين ، وتهدى الحائرين ، وتعلم البشرية ما خفى عليها من أمور الدين .

إن « مكتبة الشعراوى الإسلامية » هى إحدى هذه العطاءات التى تولت « مؤسسة أخبار اليوم » إصدارها ، وصدر فى إطارها العديد من الكتب ، يتناول كل كتاب منها موضوعاً مستقلاً بذاته ، يعالج قضية من القضايا الدينية التى تهم كل مسلم و مسلمة ، وتفتح آفاقاً جديدة فى تفكيره .

وهذا الكتاب فيض أفاضه رحمن الدنيا و الآخرة على إمام الدعاة ، وأجراه على لسانه فى لمحات إيمانية و نفحات قلبية ، ينير طريق الهدايا للحائرين المتحيرين .